الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية

تاريخ الزهد والرقائق والوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

من إعداد:
❖ ملياني حياة

إشراف الأستاذ:
شعلال إسماعيل

الموسم الدراسي
1439-1440هـ/2018-2019م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿..وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥﴾ سورة الفتح الآية 25.

كلمة شكر

نتوجه بالشكر الخالص للأستاذ "شعلال إسماعيل" الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث ولم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه، كما نتوجه بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا البحث كما نتقدم بالشكر لكل أستاذ علمنا حرفا في مشوارنا الدراسي وصدق من قال من علمني حرفا صرت له عبدا

شكر وامتنان إلى كل من ساعدنا في هذه المذكرة من قريب أو من بعيد ولكل الأصدقاء والزملاء

إهداء

إلى الوالدين الكريمين

إلى

أخواتي

إلى عتيقة

إلى

رحاب، نسرين، فاطمة

حياة

قائمة المختصرات :

الاختصار	وما يوافقه
ج:	جزء
ص:	صفحة
م:	ميلادي
تح:	تحقيق
تر:	ترجمة
تق:	تقديم
إش:	إشراف
مر:	مراجعة

مقدمة

مقدمة:

لقد ظفرت منطقة لغرب الإسلامي على عناية من الباحثين عربا ومستشرقين على أن هذا الحظ من العناية تركز في أغلب أوقاته على الجوانب السياسية المتعلقة بهذه المنطقة، وما أصبحنا نستشفه من كتب التراجم والنوازل وحتى المناقب والكتب الجغرافية، أعطى للتاريخ الاجتماعي والثقافي بعض العناية من خلال دراسة جوانب سواء تتعلق بشخصيات أثرت في هذه المجالات بالرجوع إلى التراجم والطبقات والتصوف، أو من خلال الرجوع إلى كتب النوازل لمعرفة الأحوال الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، لاحتواء هذه الأنواع من الكتب على نصوص تاريخية وإيحاءات غنية أعطت للتاريخ صورة حقيقية وأصبحت تمكن لباحث من اثراء أبحاثه وإعطائها قيمة علمية.

وقد رصدت لنا المصادر أن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب أعتبر نقطة بداية التاريخ زاخر بكل مظاهر الازدهار الحضاري حيث عني الفاتحين بنشر الدين واللغة فبذلوا لتحقيقها جهودا كبيرة ومع انتشارهما بدأ المغاربة ينشغلون ويهتمون بالأمور الدينية خصوصا وأن الاسلام ومبادئه يدعوان إلى الاعتدال في سلوك هذا المجتمع.

ومع التغيرات التي طرأت على هذا المجتمع وما صاحبها من انشغال عن الاعتدال ظهرت قيم ومبادئ تدعوا إلى النزعة الروحية القائمة على الزهد والتفرغ للعبادة ورفض كل مظاهر البعد عن الدين مثلتها طبقة الزهاد والوعاظ، استعملت هذه الأخيرة طرق وأساليب كالنصيحة والوعظ والأمر بالمعروف ومجالس الوعظ والرقائق.

وقد بات واضحا للباحثين الدور الذي اضطلع به أهلل الزهد والوعظ والرقائق من خلال مشاركتهم السياسية والاجتماعية والثقافية كونهم كانوا يشكلون طبقة اجتماعية نشطة وفعالة أثرت في التاريخ الثقافي للمنطقة الغرب الإسلامي.

ومن هنا تكمن أهمية البحث في موضوع(تاريخ الزهد والرقائق والوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي) ذلك أن أهله أثروا تأثيرا واضحا على مختلف الأصعدة في ذلك المنطقة ومن هنا كان عنوان البحث **(تاريخ الزهد الوعظ والرقائق والنصيحة في الغرب الإسلامي).**

أما فيما يخص الدراسات السابقة، فمن خلال البحث تبين عدم وجود دراسات سابقة لهذا العنوان أو مقاربة له، حيث أنه لا توجد دراسات مستقلة لهذا الموضوع، وإنما الدراسات ركزت على دور العلماء وخاصة المالكية في فترات زمنية محددة أو في جانب محدد ومعين فنجد دراسة: **فاطمة الزهراء جدو** بعنوان **"السلطة والمتصوفة بالأندلس في العصر المرابطي والموحدي"** وهي رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط بجامعة قسنطينة جاءت هذه الدراسة بعلاقة المتصوفة والسلطة في ظل الدولتين المرابطية والموحدية في الأندلس وعن بدايات التصوف والزهد بهذه المنطقة من القرن الثاني الى الخامس هجري والتيارات التصوف اسني والفلسفي وأهم أعلامه بالمنطقة الزهد في الأندلس.

أيضا دراسة **حفيظ كعوان، "أثر الفقهاء، المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية من القرن الثاني إلى الخامس هجري"** وهي رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي بجامعة باتنة تناولت الدراسة مكانة الفقهاء المالكية في المجتمع وتأثيرها فيه وأثرهم في الحياة الفكرية والتطور العلمي بإفريقية وكان اعتمادي عليها في دور الزهاد والوعاظ في الجانب الاجتماعي باعتبار أن هذه الطبقة في الغرب الإسلامي كان معظمها من المالكين.

منها دراسة **لبن خيرة رقية** لنيل شهادة الدكتوراه تخصص الحوض الغربي المتوسط بعنوان **الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين(5 و6) هجري-** دراسة في ظاهرة الانحراف وقد تمت دراسة بعض جوانب الإصلاح في فصل مخصص فيها كان الاعتماد عليه.

أيضا دراسة لمحمد محمود عبد الله بن بيه لنيل درجة ماجستير في التاريخ الإسلامي تحت عنوان الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين تم استخراج معلومات عنيت للإصلاحات السياسية والدينية للعلماء في عصر المرابطين.

وقد كانت الرغبة في اختيار هذا الموضوع ناتجة عن أسباب عديدة منها:

تسليط الضوء على طبقة أهل الزهد والوعظ والرقائق في الغرب الإسلامي، وعلى تاريخ وتطور ظهور الزهد والرقائق والوعظ في الغرب الإسلامي، إضافة لميولي إلى دراسة الجوانب الفكرية والثقافية لمنطقة الغرب الإسلامي.

إضافة إلى ذلك فإن هذا الموضوع لم يعنى بدراسة مستقلة فكان من الواجب إبراز تاريخه، وتوضيح دوره في الحياة الدينية والاجتماعية، الاقتصادية في الغرب الإسلامي.

وبناءا على ما سبق جاءت إشكالية البحث كالآتي:

إن أهل الزهد والرقائق والنصيحة من أهم النخب الدينية والعلمية في تاريخ منطقة الغرب الإسلامي، وهي النخبة التي كثيرا ما أثرت في تاريخه باعتبارهم أهم مرجعية دينية وثقافية، **فكيف كان تأثير هذه الفئة على تاريخ الغرب الإسلامي في مختلف مستوياته وجوانبه السياسية، الثقافية والدينية؟**

انطوت تحتها مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- كيف انتشر الزهد في الغرب الإسلامي؟
- من هم أهم الشخصيات التي عرفت في مجال الزهد والوعظ والرقائق في بلاد الغرب الإسلامي؟
- ما هي أهم مظاهر الزهد والوعظ والرقائق؟
- ما هي أهم التأثيرات والانعكاسات في مجتمع الغرب الإسلامي؟

وقد عولج هذا البحث بإتباع منهج تاريخي قائم على جمع المعلومات والمادة التاريخية من المصادر، والسردي طبقا لما جاء أثناء سرد الأحداث التاريخية والترجمة لأهل الزهد والرقائق والوعظ والنصيحة، أما المنهج التحليلي فيظهر من خلال تفسير أدوار هذه الطبقات وتقييمها ثم استنتاجها كمادة عليمة وتوظيفها في البحث.

وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة ليتماشى والمادة العلمية المتوفرة فقد جاءت **مقدمة** للتعريف بالموضوع وتم استعراض تمهيد للموضوع فيها وأهميته، وإشكالية الدراسة وخطة البحث، وعلى **فصل تمهيدي** تضمن التعاريف اللغوية للمفاهيم الزهد والرقائق والوعظ والنصيحة وانتشارهم في بلاد الغرب الإسلامي وأهم مظاهرها. **أما الفصل الثاني وجاء تحت عنوان الزهد والرقائق في الغرب الإسلامي** تضمن أعلام الزهد والرقائق في المنطقة (المغرب الأدنى، الأقصى، الأندلس الأوسط) وأهم مظاهرها وكذلك أهم الآثار والانعكاسات الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

أما **الفصل الثاني وجاء تحت عنوان الوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي** تضمن:

أعلام الوعظ والنصيحة في المغرب الأدنى، الأندلس، الأقصى والأوسط. وأهم مظاهر الوعظ والنصيحة في المنطقة كذلك أهم الانعكاسات على مختلف المستويات **وخاتمة** جاءت بأهم الاستنتاجات التي انتهت اليها دراسة الموضوع **وقائمة المصادر والمراجع وفهرس للأعلام والآيات.**

هذا وقد واجهت انجاز هذا البحث بعض الصعوبات أهمها أن لبحث لم تسبق له دراسة باستقلالية من قبل فكان من الضروري التعامل مع كتب التراجم والطبقات بدرجة أولى إضافة إلى بعض المصادر والمراجع التي تحدثت بصفة عامة عن مواضيع الزهاد أو المتصوفة والتي تعرض تراجم لبعض الشخصيات وعدم تغطيتها للجوانب المختلفة لها في بعض الأحيان، إضافة إلى طبيعة الموضوع التي تحتاج إلى رصيد ديني حتى يستطيع الباحث الإلمام بالموضوع واستعراض معلوماته حسب الطابع التاريخي.

أما عن المصادر والمراجع المستعملة في هذا البحث فهي مصنفة على هذا النحو:

أولا **كتب التراجم والطبقات:** فقد كانت العماد الرئيسي الذي قامت عليه الدراسة والتي من بينها **كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي** حققه بشير البكوش وراجعه

محمد العروسي المطوي بجزيئه الأول والثاني، **وكتاب معالم الإيمان لمعرفة أهل القيروان لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، المعروف بالدباغ(ت.696هـ)** حققه ابراهيم شبوخ بأجزائه الثلاثة، **وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت.544هـ)**، وهذه الكتب كان اعتمادنا عليها بشكل كبير في التعريف بشخصيات وأعلام انصب حولها بحثنا.

منها أيضا كتاب **طبقات علماء افريقية للخشني** وهو الآخر أيضا أمدنا بتراجم مهمة حول أعلام الزهاد والوعاظ في المغرب الأدنى.

أما في التعرف على الشخصيات في الأندلس، فاعتمدنا على **كتاب الصلة لخلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت.572هـ)**، **وتاريخ العلماء والرواة للأندلس لعبد الله بن محمد الفرضي(ت.403هـ)**، على أن تراجمها ارتكزت على جوانب معينة كالتركيز على نسب صاحب الترجمة وشيوخه وذكر مؤلفاته، فقد كانت مختصرة غير أنها كانت من المصادر التي خدمت البحث بشكل كبير.

وقد كان الاعتماد أيضا على **كتب التصوف** والتي كان من أبرزها: **كتاب ابن الزيات التادلي(ت.617هـ) التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبو العباس السبتي**، حيث ترجم فيه على ما يزيد عن 279 صوفي كشف لنا من خلاله واقع الحركة الصوفية وأثرها في المغرب الإسلامي، وكانت الاستفادة منه في تعريف بعض الشخصيات.

أما عن **المراجع** فلم تكن كل المراجع المعتمدة متخصصة وتصب في صلب الموضوع غير أنها ساعدت في إعطاء صورة عامة خدمت البحث بكل أو بآخر، من أبرز ما مات الاعتماد عليه **كتاب الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري للدكتور محمد بركات البيلي**، والذي جاء بأهم الزهاد والمتصوفة في تلك الفترة وأهم أعمالها وقد ساعد في التعرف على بعض الأعمال لبعض الأعلام من الزهاد كذلك في معرفة كيف انتشر الزهد في الغرب الإسلامي.

أيضا **كتاب المطرب بمشاهير أولياء المغرب للشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي** والذي كان من أهم المراجع المعتمدة في التعريف أيضا ببعض الأعلام من الزهاد والوعاظ.

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي:

إنّ الإسلام لا يُرغب عن الدنيا بل يرغب عن حرامها، ولا يرغب فيها بل يرغب في العمل الصالح، والإسلام لا يزهد االناس في الدنيا ليتركوها وينقطعوا إلى الآخرة بل يتخذ بين ذلك سبيلا ويمزج بين الدنيا والآخرة.

1- التعاريف (الزهد والرقائق والوعظ والنصيحة)

أ: الزهد:

لغة: زهد في الدنيا أي نخلي عنها للعبادة فهو زاهد، وزاهد في الشيء وعنه أي يرغب عنه ويتركه، وشيء زهيدا أي قليل[1] وقوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2]

إصطلاحا:

الكف عن المعصية وعمّا زاد عن الحاجة وترك ما يبعد عن الله ثم الكف عن أمور الدنيا جميعا بتخلية القلب[3]، ومن ثم فإنه يُدل على معنى أوسع من القناعة والورع[4].

هو عبارة عن إنصراف الرغبة عن شيء إلى ما هو خير منه، وكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فإنما عدل عنه لرغبته عنه، إنما عدل إلى غيره لرغبته فيه[5].

ب: الرقائق:

لغة:جمع رقيقة والرقيق هو الدقيق اللطيف، وهو نقيض الغليظ والثخين يقال رقيق الصوت المتحدث بصوت ناعم[6].

---

[1]- أبو الفضل جمال الدين إبن منظور: لسان العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، طبعة بولاق، ج3، ص، 196.

[2] - القران الكريم، سورة يوسف الآية 20.

[3]- شهاب الدين الأبشيهى، الزهد والرقائق، مر: وزارة المعارف العمومية، ج10، 1993، ص، 15.

[4]- لغة: الكف عن المحارم والتحريم منها وتوزع من كذا أي تخرج ورع الرجل يرع بالكسر فيها وإصطلاحا: الإمساك عما قد يضر فتدخل فيه المحرمان والشبهات لأنها تضر»، ينظر: إبن منظور، المرجع نفسه، ص، 690.

[5]- أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تح: يدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا، سمارغ، ج4، ص، 218.

[6]- ابن منظور، المرجع نفسه، ص، 200.

إصطلاحا: هي ما يحدث في القلب رقة ورحمة وهي الكلمات الملينة للقلوب وقال الجرجاني: علوم الطريقة والسلوك وكل ما يتلطف به سر العبد وتزول به كثافات النفس[1].

ج: الوعظ:

لغة:وعظ يعظ، عظ، وعظا وعظة، فهو واعظ، يقال وعظ فلان، نصحه وذكره بالعواقب، ويقال السعيد من وُعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره[2].

إصطلاحا: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، وقال الرّاغب: الوعظ أجر مقترن بتخويف[3].

د: النصيحة:

لغة: نصح الشيء خلص، والناصح الخالص من العسل وغيره وكل شيء خلص نصح والنّصح نقيض الغش مشق منه نصحه وله نصحا ونصيحة، ونصاحة ونصحا[4].

إصطلاحا: كلمة جامعة معناها حيازة الحظ المنصوح له، وهي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عمّا فيه الفساد، وهي إخلاص العمل عن شوائب الفساد[5].

2- أثار عن الزهد:

لقد ورد آثار عن الزهد من السلف الصالحين في الحديث عن الزهد والزهاد والتعريف بهم وذكر درجاته وأقسامه على سبيل المثال: كلام الحسن البصري عن الزهاد حين قال: « إن لله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة وهم مخلدون، وكمن رأى أهل النار في النار وهم معذبون قلوبها مخزونة، وشرورهم مأمونة، وحوائجهم مقضية، وأنفسهم عن الدنيا عفيفة، صبرا أياما قصارا لعقبى راحة طويلة، أمّا الليل فصافة أقدامهم، تسيل دموعهم على خدودهم يجأرون إلى ربهم ربّنا،

---

[1]- عبد الله بمن المبارك، الزهد والرقائق، تح: زتع: أحمد فريد، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط1، 1995، ص 18.

[2]- إبن منظور، المرجع السابق، ج4، ص، 64.

[3]- أنور محمود الزناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، دار زهران عمان الأردن، جامعة عين الشمس، ص 513.

[4]- نفسه، ص 190.

[5]- أنور محمود الزناتي، نفسه، ص 214.

وأما النهار فحكماء علماء بررة أتقياء، كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، ويقول قد خلطو وقد خالط القوم أمر عظيم»[1].

وعن علي رضي الله عنه قال: « إرتحلت الدنيا مدبرة وإرتحلت الآخرة مقبلة ولكل منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولإحساب وعدا حساب ولا عمل»[2].

وكلام عمر بن العاصص رضي الله عنه لما كان يخطب بمصر فيقول: « ما أبعد هديكم من هدي نبيكم عليه الصلاة والسلام، أما هو فكان أزهد الناس في الدّنيا وأما أنتم فارغب الناس فيها»[3].

ويقول سفيان الثوري[4]: «الزهد في الدنيا هو قصر الأمل فيها ليس يأكل الغليظ ولا لبس العباء[5].

فليس مفهوم الزهد هو رفض الدّنيا وليس الغليظ من اللباس، فقد كان داوود عليه السلام ملكا وهو مع ذلك زاهدا ونبيا ونبينا عليه الصلاة والسلام له 9 سنوة وهو أزهد الخلق

وكان أغنياء الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم من أصحاب الغنى وهم مع ذلك نماذج في الزهد[6].

---

[1]- البغدادي، الفوائد والزهد والرقائق والمراثي، تح: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، ط1، 1979، ص 27.

[2]- صالح بن عبد الله، عبد الرحمان بن ملوج، موسوعة نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ج6، ص 2232.

[3]- نفسه، ص 2233.

[4]- أبو عبد الله سفيان، إبن مسروق بن حبيب بن مضر الفهري، الكوفي الإمام الجامع لأنواع المحاسن من تابعي التابعين ولد 97ه أتصف بالورع والزهد والفقه توفي 161ه» ينظر: أبي زكريا محي الدين النووي، تهذيب الأسماء واللغات، تح: شركة لعلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص 223.

[5]- عبد الله مبارك، المصدر السابق، ص 25.

[6]- إبن القيم، مدارج السالكين بين إيّاك نعبدو وإياك نستعين، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتليف العربي، بيروت، ط2، ج1993، ص 13.

أما عن درجاته فإن الزهد درجات وأقسام فقد قال إبن قدامة رحمه الله: « من الناس من يزهد في الدّنيا وهو لها مشته لكنه يجاهد نفسه وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد»[1]. وهي أولى الدرجات الزهد.

ما الدرجة الثانية فهي أن يترك الدنيا طوعا لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه ولكنه يرى زهده ويلتفت إليه كالذي يترك درهما لأجل درهمين.

أما الدرجة الثالثة أن يزهد في الدنيا طوعا ويزهد في زهده فلا يرى أنه ترك شيئا كمن ترك خذفة[2] وأخذ الجوهرة[3].

3- المؤلفات في الزهد والرقائق والوعظ:

ألف العديد من العلماء وحتى الزهاد هذا المجال وقد نذكر أهمها:

1- الزهد: زائدة بن قدامة أو الصلت الكوفي (ت: 160ه).

2- الزهد والرقائق: عبد الله بن المبارك (ت: 181ه).

3- الزهد: المعافى بن عمران الموصلي (ت: 185ه).

4- الرقاق: الفضيل بن عياض (187ه).

5- الزهد: محمد بن فضيل بن غزوان (ت: 195ه).

6- الزهد: وكيع بن الحراج (ت: 197ه).

7- الزهد: سيار بن حاتم (ت: 200ه).

8- الزهد: الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241ه).

9- الورع: الإمام أحمد بن حنبل(ت: 421).

10: الرقة والبكاء: إبن أبي الدنيا (ت: 281).

---

[1]- عبد الله المبارك، المصدر السابق، ص 28.

[2]- خذفة: حذف يخذف خذفا والخذف رميك بحصاة أو نواة تأخذها بين سبابيتيك وهو الرمي بالحصى الصغار، ينظر: إبن منظور، المرجع السابق، ص، ج3، ص 520.

[3]- شهاب الدين افبشيهي، المصدر السابق، ص 192.

11: المواعظ والرقائق: أبي علي حسن بن علي الأهواري (ت: 446ه).

12- كتاب الرقائق: عبد الحق الأشبيلي (ت: 581ه)[1].

13- الزهد: أسد بن موسى (ت: 212ه).

14- الزهد: الخطيب البغدادي (ت: 463ه).

14- زهد الثمانية من التابعين: علقمة بن مرثد (ت: 327ه).

16- كتاب التصوف: الزهد: بشير الحافي (ت: 227ه[2]).

4- أصول الزهد

لما كان الزهد في الدنيا هو النتيجة للإبتعاد عن ملذاتها والزهادة في الأشياء التي تؤدي إليها، فحياة الرسول الله صلى الله عليه وسلم هي أكبر مثال يضرب في هذا المجال فحين أقبلت عليه الدنيا أعرض عنها وأختار الأخرة، فقد كان في حياته عليه الصلاة والسلام ما يدفع إلى الزهد في الدنيا والتقلل من أعراضها.

فقد كان طعامه صلى الله عليه وسلم عن النعمان بشير رضي الله عنه قال : ذكر عمر بن خطاب رضي الله عنه ما أصاب من الدنيا فقال « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل ليوم يتلوى لا يجد من الدّقل ما يملأ بطنه». وعن أنس رضي الله عنه قال «لم يأكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان حتى مات و لم يأكل حبزا مرفقا حتى مات»[3].

وعن ثيابة قالت عائشة رضي الله عنها « إنما كان فراشه عليه الصلاة والسلام الذي ينام عليه أدما حشوة ليفا»[4].

---

[1]- سعيد بن علي آل ناشع الأسمري، كتاب الزهد والرقائق لعبد الله بن مبارك دراسة وتحقيق رسالة مقدمة لنيل درجة ماجستير في الحديث وعلومه، جامعة أم القرى، قسم كتاب زسنة إش، أحمد بن نافه المورعي، 1433ه- 2012م، ص 26.

[2]- نفسه، ص، 27.

[3]- عبد الله مبارك، المصدر السابق، ص ص 28- 30.

[4]- نفسه، ص، 31.

وقالت أيضا رضي الله عنها: «إن كنّا آل محمد صلى الله عليه وسلم لنمكن شـــهرًا مـــا تستوفد بنار إن هو إلا التمر والماء»

أما عن الصحابة رضوان الله عليهم، فقد كان من أحوال هذه الأمة ما يدل علـــى فضـــل الزهد فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله كان إذا صلى بالناس يخر رجال من فامتهم في الصلاة من الخصاصة حتى يقول الإعراب هؤلاء مجانين فإذا صلى عليه الصلاة والسلام إنصرف إليهم فقال: لو تعلمون مالكم عند الله لا حببتم أن تزدادوا فلقة وحاجة»[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال:

«رأيت عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رفع بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضهما علـــى البعض[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه « أنه مرّ بقوم بين أيديهم شاة مصليه، فدعوه، فأبى أن يأكل وقال: ما شئتم لقد رأيت نسيكم خرج من الدنيا و لم يشبع من خبز الشعير».

لقد كان عصر النبوة هو المولد الحقيقي للزهد الإسلامي ففي صدر الإسلام كان الإقبـــال على الدين والزهد في الدنيا غالبا على المسلمين فلم يكونوا في حاجة إلى وصف يمتاز بـــه أهـــل التقى، قال أبن الجوزي: كانت النسبة في الزمن الرسول الله صلى الله عليـــه وســـلم إلى الإيمـــان والإسلام فيقال مسلم ومؤمن، ثم حدث إسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهـــد والتعبـــد فتخلوا عن الدّنيا وإنقطعوا للعبادة وإتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها[3].

ولكن بعد الإقبال على الدّنيا وجنوح الناس إلى المخالطة المتاع الدنيوي قيل للخواص ممـــن لهم شدة عناية بأمر الدّين الزهاد العُباد[4].

---

[1]- أحمد فريد، البحر الرائق في الزهد والرقائق، مكتبة الصحابة جدة، 99، ط2، ص 35.

[2]- عبد الله مبارك، نفسه، ص، 32.

[3]- إبن الجوزي جمال الدين، تلبيس إبليس، بيروت، 1368ه، ص 161.

[4]- نفسه، ص 162.

إذ يعتبر عصر مني أمية مهما في إنما الزهد وتطوره فقد شهد القرن الأول الهجري تطـــورا جديدة وأحداث عملت على تغذية حركة الزهد، فقد لحقت بالمسلمين فتن كثيرة بعـــد مقتـــل الخليفة الرشدي عثمان رضي الله عنه، وكنتيجة لهذا الصراع والمنازعات آثر الزهاد في هذه الفترة الإنقطاع عن تلك المشكلات وعدم المشاركة فيها بالتجاوز عن الدّنيا وإعتزالها للنجاة من الزيـــغ والضلال[1] وهكذا إهدأت البذور الأولى تنموا التمثل ظاهرة دنية فكرية رغبت بالزهد[2].

وقد إشتهر هذا الإسم (الزهاد) قبل 200 من الهجرة و لم يكن موجودا على عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[3].

حيث ظلت التراعات قائمة بين فرق المسلمين حتى العصر العباسي وما ترتب عنـــها مـــن تداعيات إقتصادية وإجتماعية دفعت بالكثير منهم في الزهد بالحياة والقناعة فيها خوفا من أن يقعوا في الأثم ونبذ كلّ غاية دنيوية ومطالبين بالرجوع إلى التمسك بالدّين ومثله العليا وسيرة الرســـول الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم[4].

وهذا ما ياخصه قول إبن خلدون الذي نرجع التصوف إلى الزهد حيث يفكر أن التصرف هو الإتجاه الذي ساد في قرن 2ه وما يعده من الإقبال على الدنيا والإنعماس فيها مما دعا إلى نشوء إتجاه مضاد لهذا الإتجاه تمثل في العكوف عنى العبادة والإنقطاع إلى الله والأعراض عـــن زخـــرف الدنيا وزينتها والزهد في ما يقبل عليه الناس من ملذات وجاه ومثال[5].

---

[1]- القشيري، الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود، مجلة المجمع العلمي العراقي، 1969، ص، 7- 8.

[2]- مجاهد مصطفى بهجيت، التيار الإسلامي في شهر العباسي الأول، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلسلة الكتب الحديثة، ط1، 1982، ص 158.

[3]- نفسه، ص 159.

[4]- نفسه، ص 160.

[5]- إبن خلدون، المقدمة، ص 120.

5- إنتشاره في بلاد المغرب الإسلامي:

مع تواجد الزهاد في بلاد المشرق الإسلامي، فمن الطبيعي أن لا تنحصر هذه الظاهرة على المشرق وحده فلم تلبث طويلا حتى ظهرت بالمغرب الإسلامي، فقد زهد كثير من أهل المغـــرب منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام في هذه المنطقة[1].

وقد ترتب على الفتح الإسلامي لبلاد المغرب تدفق كثير من المشارفة إلى هذه البلاد علـــى الرغم من تعدد مهامهم وأهدافهم فقد تضافر والتعريب وإسلام بلاد المغرب[2] حيث تعتبر البعثـــة العمرية الإرهاصات الأولى لظهور الزهد في هذه البلاد نظرا لما أدّته من دور كبير في تثقيف وتعليم مكان المغرب تعاليم وعلوم الدين الإسلامي وكانت بعثه عمر بن عبد العزيز الذي يعتبر بحد ذاتـــه من الزهاد كما ذكرنا سابقا مكونة من 10 من الفقهاء، والعلماء التابعين، حيث أرسلهم وأمـــرهم أن يبذلوا جهدهم لتثقيف المغاربة علوم الدين حتى يبني إسلامهم على أساس صحيح ومتين فكانت هذه الحملة والبعثة فتحا ثقافيا بإمتياز[3] يتصفون فضلا عن علمهم وفقهم بالزهد ويمارسونه منـــهم إسماعيل بن عبد الله الأنصاري[4] المعروف جر الله، وقد سكن وعلم القيروان وعلـــم أهلـــها فقـــه وزهده، وكان من هؤلاء التابعين العشرة إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر المخزومـــي[5] الـــذي ولاه عمر بن عبد العزيز على إفريقية لكنه مع فقهه كان صالحا زاهدا بلغ من الزهد أنه كـــان إذا أقبل من الغزو وإفترش درعه فنام عليه، وكان هو وأم ولده وفرسه يسكنون بيتا واحدا زهـــدا في الدنيا وتواضعا، ضرب به المثل في الزهد وقد تعلم أهل إفريقية من فقهه وزهده[6].

---

[1]- محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندس حتى ألف 5ه، دار النهضة العربية، القـــاهرة، 1993، ص 51.

[2]- نفسه، ص 53.

[3]- محمد مرغيت البعثة العمرية وأثرها في توطين الإسلام بالمغرب الإسلامي، قسم العلوم الإنسانية جامعة أدرار، ص 13.

[4]- الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، وتح: إبراهيم شيوخ، مكتبة الخانجي، مصر، 1968، ص ص 91- 95.

[5]- المالكي رياض النفوس، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1994، ص 200.

[6]- أبو نعيم الأصهاني، حلية الأولياء وظيفة الأصفياء، تح: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988، ج6، ص 95.

وقد يرجع إنتشار الزهد في منطقة المغرب الإسلامي إلى أن الحركات التي كانت تظهر في المشرق يتاثر بها المغرب إضافة إلى عدة عوامل وأسباب سياسية واقتصادية وثقافية كوفود بعض الزهاد إليها كما ذكرنا ورحلات المغاربة إلى المشرق بالمقابل وكذلك.

دور الرحلة بصفة عامة سواء رحلات طلب العلم أو الحج أو حتى رحلات الزهاد الداخلية والخارجية.

وتمكن هذه الطبقة من قلوب العامة، ونذكر من هؤلاء الزهاد البهلول بن راشد[1] ووهب بن منيه وسحنون بن حبيب التنوخي[2]، وأتباعه من الزهاد والعياد والطلبة الذين كانوا يحضرون مجلسه وكان لهذا أثره على العلماء والطلبة الوافدين إلى إفريقية، وقد إمتد الزهد إلى صقلية إذ إنتشر فيها الزهد وذلك بحكم علاقتها بإفريقية منذ فتح المسلمين لها على يد أسر بن الفرات[3] ومع قيام الدولة العبيدية وسيطرتها على صقلية زادت حركة الزهد ولعب القضاة الذين هاجروا من إفريقية إليها دورا في نشر الزهد إليها نجد منهم على سبيل المثال لا الحصر أبا عمر و ميمون بن عمرو[4] ومنهم أيضا أبو القاسم عبد الرحمان البكري الصقلي[5] (300)ه أما عن الزهد في الأندلس فقد إنتقل إليها هي أيضا كون أن الأندلس ترتبط إرتباطا وثيقا بالمغرب الإسلامي، فكانت لتزعة الزهد التي ظهرت في المشرق صدى في المغرب والأندلس على حد سواء وكانت العوامل المسببة

---

[1]- البهلول بن راشد: الرعيني مولى لهم ولد 128ه سمع بإفريقية عن أنعم وموسى بن علي وعلي بن رباح وسمح عنه سحنون، وتد من أوتاد المغرب، ألف ديوانا في الفئة والغالب عليه مذهب نالك توفي 183ه دفن بباب سلم المالكي، المصدر السابق، ص 201- 208.

[2]- أبو سعيد بن سعيد بن حبيب التنخوخ..: إسمه عبد السلام وغلب عليه لقب سحنون باسم طائر حديد النظر لحدته في المسائل، أصله شامي من حمص، سمع بالقرصة عن علي بن زياد وبهلول بنراشد تولى الفقهاء بإفريقية 234، توفي 240» الدباغ، المصدر الثاني، ج2، ص- ص 77- 85.

[3]- علي بن أسد بن الفوات: أبو عبد الله بن سنان مولى بن سليم أصله من أبناء جند خرسان نيسابور ولد بنجران 142ه، قدم إلى الفيروات 144، سمع الفقه عن عبد الرحمان بن القاسم وعنه دون الإسدنية تولى القضاء بفيروك وغزا صقلية» نفسه، ص- ص 3- 15.

[4]- أبا عمرو بن ميمون المعروف بإبن المعلوف، ولي مظالم القيروان أيام بني الأغلب ذكره الخشني أنه كان لديه دين ومكانه كبيرة توفي 134ه» ينظر: الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1994، ص، 252.

[5]- الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 22.

لظهورها في كل من العدويين مشابهة[1] وقد إنتشر الزهد في الأندلس في وقت مبكر من تاريخه الإسلامي حيث وقد مجموعة من الزهاد المشارقة وكان من أوائلهم النعمان بن عبد الله بن النعمان الحضرمي الذي كان صالحا وزاهدا، حيث لم يكن هذا الأخير زاهدا الأندلس الوحيد في عصره بل عاصره زهاد آخرون وهذا لا يعد كونه مجرد إرهاصه بظهور نزعة الزهد في الأندلس و البداية والبداية الحقيقة لم تكن أواخر القرن 2هـ ومن زهاد هذه الفترة فرقد بن عبد الله الجرشي أوّل زاهد من أصل أندلسي[2]، وقد كانت البداية أواخر القرن 2هـ ثم تزايدت أعداد الزهاد في هذا القرن منهم محمد بن عيسى بن دينار الذي أخذ عن أبيه وكان فقيها زاهدا، وكان منهم أيضا عبد الجبار بن الفتح بن منتصر البلوي الفقيه الزاهد (ت 358)هـ.

وقد شهدت نزعة الزهد تصاعدا هاما بعد ظهور أحد كبار الزهاد في الأندلس وهو محمد بن وضاح بن يزيغ القرطبي[3] وتلاميذه الذين تلقوا العلم عنه والزهد معا وقد كان إماما في الحديث وقد إهتم تلايذه من بعده ينشر الزهد في الأندلس وقد توالى من هؤلاء الزهاد عدد كبير غيرهم وقد وصل إلى ذروته في نهاية القرن 4هـ[4].

5- مظاهر الزهد والوعظ والرقائق والنصيحة:

لم يكن الزهد في المغرب والأندلس نزعة سلبية تقوم على إعتزال الناس وإجتنابهم وعدم الإكتراث بهم وبأمورهم، ولكن الزهد كان نزعة إيجابية نشيطة وفعالة في المجتمع يهتم الزهاد من خلالها بشؤون هذا المجتمع ويسهمون في حركته ويعنون بشؤون أفراده وأحوالهم، فكانوا يعلمون الناس أمور دينهم ويفقهون في علوم الدين ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وينصحونهم بعد أن سلكوا هم الطريق القويم فيتخذهم الناس أسوة حسنة يتأسون بها، وكان من الزهاد من لا

---

[1]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 81.

[2]- نفسه، ص 100.

[3]- بن وضاع بن يزيغ القرطبي مولى عبد الرحمان الداخل ولد 199ه تتلمذ على يد شيوخ كبار بلغ عددهم 160، نشر بالأندلس علما كبيرا من مصنفاته البدع ، توفي 287ه»، أنظر، الذهبي سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارناووط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995، ص 216.

[4]- نفسه، ص 105.

تأخذه في الله لومة لا تم ويتصدى لظلم الحكام دافعا آذاهم عن الناس، وكان منهم من شـــارك في سبيل الله مجاهدا مدافعا عن المسلمين، مرابطا في الثغور والمحارس أو غازيا في الحملات، ومـــدافعا عن دار الإسلام[1].

وكان لهذه الحركة النشيطة من الزهاد في المجتمع جميل الأثر في نفوس أهل الغرب الإسلامي فيملون إلى الزهد ويجلون الزهاد والعلماء وفيما يلي أمثلة عن الأدوار التي كانت تقوم بهـــا هـــذه الفئة وعن أهم المظاهر التي أثرت في هذا المجتمع من طرفها.

6-1- الإهتمام بالعلوم الدينية:

كان كثيرا من الزهاد من أهل العلم والفقه يعلمون الناس أمور دينهم ويفقهونهم فيه، فلقد سبقت الإشارة إلى دور الذي أدّته بعثة التابعين وعلى رأسهم تاجر الله وبن أبي مهاجر الذين أسلم على يدهم خلق كثيرا من البربر وعلّموهم دينهم على أساس صحيح[2].

وأيضا البهلول بن راشد الذي كان من الفقهاء يتبعه الكثيرون يأخذون عنه، وكان للعديد من الزهاد حلقات علم يقصدها الطلاب والناس للأخذ منهم والتلقي عنـــهم وكـــانوا يختمـــون مجالسهم ودروسهم بالوعظ والرقائق وكان منهم من إختصت مجالسه بالذكر والسماع مثل مسافر بن سنان الواعظ الذي كان الناس يجتمعون إليه للذكر والمواعظ[3].

وقد إهتموا بالعلوم الدينية وقاموا بتدريسها فعلى سبيل المثال كان بقي بن مخلد[4] زاهـــدا الذي ملأ الأندلس علما وألف كتبا حسانا منها كتابه في التفسير وقد كانت مجاس الذكر تستهوي كثيرا من المغاربة وتجتذبهم إليها فيحضرونها ويتأثرون بها.

---

[1]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق ، ص 103.

[2]- الدباغ المصدر السابق، ص- ص 191- 103.

[3]- محمد بركات البيلي، نفسه، ص 106.

[4]- بقي بن مخلد: ولد 231ه روى عن جماعة من أهل المغرب والأندلس هو إبن مخلد أبو عبد الرحمان من حفـــاظ المحـــدثين وأئمة الدين والزهاد الصالحين» ينظر: أين بشكوال، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، المكتبة الأندلســـية، القـــاهرة، ط2، ج1، 1989، ص 197.

6-2- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان الكثير من الزهاد في بلاد المغرب جاه كبير سيما وقد كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا يخشون في ذلك إلا الله و لم يقتصر أمرهم على العامة فقط بل إمتد إلى الخواص منهم بنا فيهم الحكام وذوي السلطان.

البهلول بن راشد مثلا لم يسعه السكوت أمام محمد بن مقاتل العكي[1] عندما أرسل النحاس والحديد والسلاح إلى ملك الروم ملاطفة منه وهو عدو الإسلام فنهى البهلول محمد بن مقاتل عما عزم عليه وواعظه وألّح عليه، على الرغم من أن بن مقاتل حنق عليه وأمر بحبسه، إلا أن ذلك كان له أثر في نفوس الناس، حيث (احتشدوا وألقوا بأجسادهم على البهلول ليمنعوا عنه السّياط وضيع الناس لذلك داخل إفريقية وخارجها[2].

نذكر أيضا عيسى بن دينار[3] الذي كان واحدا من الذين انتقدوا سلوك الحكم الربضي وحرّضوا عليه العامة يوم هيج الريض المشهور، وكان أبوا العجنس الزاهد لا يأبه كثيرا بالحكام.

وكان بعض الزهاد لا يكتفون بأمر الحكام بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإنما كانوا يتصدون لظلمهم ويدفعونه عن العامة وإذا لزم الأمر.

هكذا كان الزهاد في مجتمع الغرب الإسلامي، فكان الناس عامتهم وخاصتهم يُجلون الزهاد ويوقرونهم مما كان لهم في النفوس وكان لهم أثر كبير في إستمالة الناس إلى الزهد[4].

6- المؤسسات التعليمية:

إن المؤسسات التعليمية في الغرب الإسلامي من خلال الفترة الوسيطية من مساجد وكتاتيب ورباطات وزوايا وحتى دور العلماء ومساكنهم، لم تكن مجرد مؤسسالت تعليمية

---

[1]- محمد بم مقاتل بن حكيم العكي، عين حاكما عن إفريقية في عهد الدولة العباسية وهو آخر حاكم لتلك المنطقة قبل قيام دولة الأغالبة» ينظر: إبن الاثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان، ج5، ص 201.

[2]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 408.

[3]- عيسى بن دينار الطلطلي: تفقه بإبن القاسم، جمع الفقه والزهد صلى 40 سنة الصبح بوضوء العتمة من كبار أئمة الفقه إتصفا بالزهد والورع» ينظر: المالكي، نفسه، ص 161.

[4]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 76.

فحسب بل تبلورت أنشطتها ووظائفها وتجدرت داخل مجتمع الغرب الإسلامي لتساهم في حياته الدينية والعلمية وحتى الإجتماعية وبذلك غدت هذه المؤسسات مركزا علميا عاما للناس والعلماء وملاذًا للزهاد وطلبة العلم.

6-أ - المساجد:

المسجد هو بين الله الذي يؤدي فيه المسلمون صلواتهم اليومية المنفروضة والمسجد عبر التاريخ الإسلامي يكن مكان للعبادة فقط، بل كان مركزا للعلم والثقافة تتخذ فيه حلقات الدرس.

لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[1]

فقد إعتبر المسجد بمثابة مدرسة تعليم عال كانت تقام فيه الدروس العلمية والشروح ومدارسة القرآن الكريم بتفسيره وتجويده، وكان أهل المغرب والأندلس على هذه المساجد فيستمعون إلى الدروس والمواعظ التي كانت تلقى فيه[2].

كما كان المسجد المنارة الأولى التي أشع منها نور الإسلام وأعظم مسجد أدّى هذا الدّور المسجد الجامع (القيروان) يعتبر أوّل مسجد وأقدم مساجد المغرب الإسلامي وقد اختطه عقبة بن نافع سنة 50هـ وقد ظلت القيروان منبعا ينهل منه أهل العلم والطلبة الوافدين إليها خاصة في مجال الزهد إلى غاية 449هـ حيث خربت على إثر قدوم الهلاليين إليها[3].

[1] - القرآن الكريم سورة التوبة الآية 18.

[2] - السبيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ص 336.

[3] - المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة ليون، 1381- 1962، ص 319.

ومنه إلى باقي المساجد بالمغرب والأندلس مثل جامع الزيتونة الذي هو من أهم المساجد إفريقية لقدم عهده وشهرته كجامعة علمية قديمة، ما زالت تدرس فيه علوم الدين والفقه واللغة والتاريخ[1] وقد بناه إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري سنة 9هـ[2].

ومن بين أهم المساجد في المغرب الإسلامي أيضا جامع القرويين من أعظم آثار المرابطين على الإطلاق بفاس ويُعد من أهم الجوامع وأكثرها شهرة بإعتباره جامعة إسلامية قديمة[3].

ومسجد الرّباطي الذي بناه أبو عبد الرحمان الجبلي[4] ويقوم بأدوار علمية هامة.

أما في الأندلس قد كانت قرطبة تمثل قطبا في النشاط العلمي بإعتبارها جاهزة الخلافة ودار الملك فقد حظي جامعها الشهير بمكانة علمية كبيرة فقد كان دوره عظيما في نشاط الحركة العلمية حيث ضم بين أروقته حلقات الدرس والعلم وكان طلاب العلم يدرسون في هذا الجامع علوم الدين والأداب والتاريخ[5].

وقد كانت أشهر مجاس الذكر والسماع في إفريقية حينئذ تعقد في مسجدي السبت والخميس وهما مسجدان كان يقعا في الدمنة خارج سور القبروان على مقربة من بعضها البعض أما مسجد السبت فيسمى كذلك تعريف لأن كانت تعقد فيه كل يوم سبت مجالس الذكر وتلقة فيه الرقائق من أول النهار إلى زوال وكان يحضره عدد من الزهاد والعلماء والقراء والحفاظ[6].

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 166.

[2]- نفسه، ص 667.

[3]- نفسه، ص 670.

[4]- المالكي، المصدر السابق، ص 99.

[5] - سعيد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316، 422ه) رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخى الإسلامي، إش: أحمد السيد دراج، جامعة أم الرى، كلية الشريعة 1982، ص 145.

[6]- محمد بركات الميلي، المرجع السابق، ص 78.

أما الخميس فقد بناه أبو إسحاق إبراهيم بن المضاء الزاهد صاحب سحنون بالدمنة أيضا كان يجتمع فيه الصلحاء والقراء والزهاد كل يوم خميس من العصر إلى أوّل الليل تلقى فيه الأشعار والرقائق على نحو ما كان يجري في مسجد السّبت[1].

وجامع القصبة الكبير باشبيلية الذي أمر ببنائه الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة 567هـ[2].

6-2- الرباطات: أطلق الرباط في صدر الإسلام على الرباط الخيل وذلك مستمد من الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [3]

ومع مرور الزمن تغيرت وظيفة الربط في البلاد الإسلامية فلم تعد مكانا عسكريا[4] وأصبح الرباط بناء يجتمع فيه من تفرغ للعبادة من الزهاد والصالحين.

إستعدادا للجهاد في سبيل الله وبالتالي جمع بين الصفتين الحربية والدينية[5] وأصبح يرتادها الزهاد للعبادة والإنقطاع إلى الله والتوبة ومجاهدة النفس كما وأصبح يؤدي خدمات الإجتماعية ودينية، إضافة إلى دورها الثقافي في الوعظ والإقراء والتحديث والسماع والإفتاء ومنح الإجازات العلمية وتصنيف الكتب، واعد على ذلك أن والوقفين لهذه الرباطات قد أنشاوا فيها الخزائن

[1]- محمد بركات الميلي، المرجع السابق، ص 83.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 768.

[3] - القرى، الكريم سورة الانفال الآية 60.

[4]- الرباط، من رابط يرابط وهو ما ربط به وجهه ربط، وهو إعداد الخيل وربطها وملازمة ثغر العدو، فيقال فلان به رباط من الخيل أي الحصن أو مكان الذي يرابط فيه الجند» ينظر: إبن منظور، المرجع السابق، ص، ج3، ص، 302.

[5]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص، 215.

ووقفوا فيها الكتب، فكان الزهاد والمتصوفة يترددون على مكتباتها وكذلك كان يفعل الطـــلاب الذين يرحلون في طلب العلم[1].

أما عن الرباطات في بلاد المغرب الإسلامي فقد كان ظهورها في أول الأمر على ســـواحل إفريقية ثم تلتها بعد ذلك بقية سواحل المغرب[2]. والتي تزامنت مع تعرضها لغازات البيزنطيين بعـــد الفتوحات الإسلامية، وقد رأى المسلمون أن حركة المرابطة في الثغور المتاحة للعـــدو وجهـــادا في سبيل الله فاتخذت بذلك القيروان رباطا للدفاع عن المسلمين من غارات الرّوم، وكان الرباط الذي بناه الوالي هرثمة بن أعين 179هـــ من أقدم الربط في إفريقية وزاد إنتشار الرباطات فانشأ الأغالبية رباط المستشير، وقد عمل المرابطون في هذه الفترة على الإهتمام بالتدريب العسكري والفروســـية حتى يصدون هجمات العدو، كنا ركزوا إهتمامهم في وقت السلم على على الجانـــب العلمـــي كحفظ القرآن وتفسيره، كما يعتبر رباط شاكر من الربط الأولى التي قامت بالمغرب الأقصى وهو يحمل إسم أحد أصحاب عقبة بن نافع[3].

ولعل من أهم الرابطات أيضا ذلك الرباط الذي إتخذه عبد الله بن ياسين[4] على مصب النهر السنغال وإنعزال فيه العبادة ولتعليم أتباعه مبادئ الإسلام الصحيحة وقد كـــان للـــربط دور في التدريس والعبادة ومنطلق للقضاء على الفتنة وعلى سبيل المثال من الأربطة أيضا ربـــاط الفـــتح بوهران والذي كان يجتمع فيه العديد من العباد، إضافة إلى مرسى ندرومة الذي إحتوى رباطا هو الأخر.

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 608.

[2]- محمد بركات البيبلي، المرجع السابق، ص 85.

[3]- نفسه، ص 71.

[4]- عبد الله بن ياسين بن ملوك الجزولي نسبية إلى قبيلة خزولة ولد يقؤب أدغست رحل في طلب العلم إلى الأندلس ثم رجـــع إلى المغرب الأقصى، أختاره شيخه ووجاج بن زلو بمهمة الإصلاح في الصحراء قبيلة لمتونة وأصبح القائد الرومي لتلك الجماعة التي أصبحت تسمى المرابطين" ينظر: أبي زرع الفاسي، الانيس لمطرب بروض القرطاس في اخبار ملك المغرب وفاس، المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 412.

وقد كان كثيرا من الزهاد في تلك الفترة يحرسون المسلمين من الغازات المفاجئة التي يشنها أعداء الإسلام، وقد أشتهر عدد من الأعلام الزهاد تالمغاربة بسكنى الربط وإنشبوا إليها منهم من كان يدعى المنستيري نسبه إلى المنستير مثل أبي عمرو يسير بن عبدوس المنستيري [1].

أما في الأندلس فقد أقيمت فيها الربط هي الأخرى لحمايتها من ضربات النصارى حيث ترجع المصادر أن من أوائل الرباطات التي عرفتها الأندلس أيّام غزوات النورمان على السواحل الأندلسية بدأ يعرف توافد عدد كبير من الزهاد لحماية الثغور البحرية ومن الربط أيضا نجد رباط ألمرية، ورباطي عمروس والخشني بجوار ألمرية وكذلك رباط روطة فضلا عن مجموعة من الربط التي أقام فيها الفقهاء.

ولا بد أن تكون الربط في صقلية كثيرة لأنها منذ فتحت كانت ثغرة من ثغور الروم وكان المرابطون يتصدون للهجمات الخاطفة التي كانت تقوم بها وحدات الجيش البيزنطي هذا فضلا عن إعتبارها كلها رباطا كبيرا يدافع المسلمين فيها عن بلادهم[2].

6-3- الكتاتيب:

يعتبر الكتاب[3] محورا أساسيا وأوليا في محاور التعليم والعلم وكان الذي تولى التعليم في الكتاب يطلق عليهم المعلمين أو المكتبين[4].

---

[1]- محمد بركات البيلي، نفسه، ص 64.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 219.

[3]- الكتاب: مفرد الكتاتيب وهو موضع التعليم وجهة الكتاتيب والمكاتب والمكتب موضع التعليم والكتاب الكتبة، إبن منظور، المرجع سابق، ج1، ص، 699.

[4]- علي بن محمد سعيد الزهراني، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (212- 484ه)ن رسالة مقدمة لنل شهادة دكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، إش: ضيف الله بن يحي الزهراني، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، مكة ، 1414- 1993م، ص 202.

كما كان الأباء يدفعون ببأبنائهم إلى المكتب منذ الصغر في الخامسة أو السادسة من عمرهم وبعضهم في السابعة والثامنة[1] كما يجب على الصبي أن يتعلم في الكتاتيب القرآن والحديث والأخبار وحكايات الأبر ار وأحوالهم وبعض الأحكام الدينية والشعر[2].

أما في البلاد الغرب الإسلامي فإن أول ما قام به الفاتحون من الصحابة والتابعين عند فتح إفريقية بعدما إختطوا قيروانهم إنشاء الدور والمساجد ثم إلتفتوا إلى التعليم فإتخذوا له محلا (كتابا) بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة كلام اللغة لما كان لأولئك الأفاضل من العناية الكبرى بأمر دينهم القويم وهم القائمون ينشر دعوته والمكلفون بدعم ركائزه[3].

و لم يمض ربع قرن على تأسيس القيروان حتى وجد بها عدد كبير من الكتاتيب و لم يزل شأن الكتاتيب في نمو عددها في إزدياد ولا عجب أن إعتبرت الكتاتيب في القديم كملحقات - بالمساجد وتوابع لها بل إنها وجدت أيضا في دور الأعيان والأغنياء وبالأحرى في قصور الوزراء والأمراء[4]

6-4- الزوايا:

أدت الزوايا[5] دورا مهما حيث كانت تؤدي دورا تعليميا مهما إلى جانب الكتاتيب والمساجد ففي مجموعة من المباني الكبيرة يتوسطها ضريح الشيخ المؤسس لها [6].

وهي مكان معد للعبادة وإيواء المطلبة والمحتاجين وتسمى في المشرق " بخنقاه" وقد عرفتها دائرة المعارف الإسلامية أنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة"[7].

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السالبق، ص 374.

[2]- علي بن محمد سعيد الزهراني، نفسه، ص 203.

[3]- محمد بن سحنون، أداب المعلمين، مر وتح: محمد العروسي المطويي، مكتبة الفقه المالكي، تونس، 1972، ص 23.

[4]- نفسه، ص 37.

[5]- مفردها زاوية وهي من الأنزرواء ومعناها الإنعزال والخلوة وزويت بمعنى جمعت، انزوى القوم بعضهم إلى بعض أي تدانوا وتضمانوا» أين منظور، المصدر السابق، ص 364.

[6]- عبد الحليم عويس، دولة بن حماد في الجزائر، مجلة الأصالة، ع14، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجظزائر، 1393ه- 1973م، ص 200.

[7]- موسوعة دائرة المعارف الإسلامية،

ومن خلال هذه التعاريف يتضح أن الزاوية عبارة عن مؤسسة علمية تعمل علـــى جلـــب الناس بالأوراد والذكر و لم يقتصر عمل الزاوية على التربية الإسلامية الصـــوفية والحفـــاظ علـــى المقومات الروحية لاتباعها، بل سارعت إلى الخروج من نطاق مؤسسة الزاوية إلى حـــدود المجـــال الإجتماعي.

أما في بلاد المغرب الإسلامي فتعود في الأصل إلى ركن البناء، وهي مجموعة الأبنيـــة الـــتي تقدم أدوار تعليمية وإجتماعية وقد ظهر في المغرب مرادفا للربط مصدقا لقوله

أخذ كثيرا من المسلمين أنفسهم بالزهد في الدنيا تأسيا بحياة الرسول صلى الله عليه وســـلم وتأسيا بحياة الصحابة والتابعين، فهذا علي كرم الله وجهه يقول: اسمعوا دعوة الموت اذانكم قبل ان يدعى بكم، ان الزاهدين في الدنيا لتبكي قلوبهم وان ضحكوا، ويشتد حزنهم وان فرحوا، ويكثـــر مقتهم أنفسهم وان اغتبطو بما رزقوا"

وقد أنتشرت نزعة الزهد في الغرب الإسلامي في القرون الأولى الهجرية إذ نجد عدد الزهاد يزداد وهذا ما تبين لنا من خلال كتابات المؤرخين لا سيما أصحاب الطبقات وقد نقلـــت لنـــا المصادر أسماء بعض الزهاد الذين ساهموا في تنشيط الحياة الإجتماعية والثقافية بمختلـــف صـــورها خلال هذه القرون.

ولقد كانت هذه الفئة محترمة من قبل العامة مما ساهم في إنتشار أفكارهم وأخلاقهم مـــن خلال التأسي بهم والتعلم بهم والتعلم منهم والأخذ عنهم ومن مواقفهم.وأيضا من خلال أدوار التي أدّها هذه الفئة والتي ساهمت في إثراء الحياة تاثقافية والعلمية والدينية وحتى الإجتماعية من خـــلال الإهتمام بالعلوم الدينية والمجالس العلمية التي كان يغلب عليها الذكر والوعظ والنصح والإرشـــاد للرّعية والحكام في تلك الفترة كما أنهم ساعموا في رفع المستوى الأخلاقي والفكري لكلا الفئتين لما لهم من تأثير في النفوس.

وسنطيل الحديث عن هذه الفئة ودورها في ترسيخ المبادء والقيم الصحيحة والحميـــدة في نفوس مجتمع الغرب الإسلامي وهن أهم هذه الشخصيات وأثرها وأهم ما تركوه في هذا المجال من خلال الفصول القادمة من البحث.

الفصل الأول

الزهد والرقائق

في الغرب الإسلامي

المبحث الأول: نماذج من أهل الزهد والرقائق في الغرب الإسلامي.

المطلب 01ـ في المغرب الأدنى.

المطلب 02ـ في المغرب الأقصى.

المطلب 03ـ في الأندلس.

المطلب 04ـ في المغرب الأوسط.

المبحث الثاني: مظاهر الزهد والرقائق.

المطلب 01ـ الدفاع عن الإسلام وأهله.

المطلب 02 ـ مجالس الذكر والرقائق.

المطلب 03 ـ الإعراض عن الدنيا.

المبحث الثالث: انعكاسات الزهد والرقائق في الغرب الإسلامي.

المطلب 01 ـ الديني الثقافي.

المطلب 02ـ السياسي.

المطلب 03ـ اجتماعي اقتصادي.

المبحث الأول: نماذج عن أهل الزهد و الرقائق في الغرب الإسلامي

01: المغرب الأدنى

لقد عرف المغرب الأدنى وفود عدد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أثناء حركة الفتوح، الذين اتصفوا بالزهد و مارسوه وقد كان من أوائل الذين قدموا إلى بلاد المغرب الأدنى التابعين والفقهاء العشرة الذين بعثهم الخليفة عمر بن عبد العزيز، منهم: إسماعيل بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه" ت 107 "هـ وقد سبقت الإشارة إليه في البحث يعرف بتاجر الله من أهل الفضل والعبادة والنسك والإرادة، كثيرالصدقة والمعروف مع علم وفقه .

أخذ العلم عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وصحبهم وروي عنهم . سكن القيروان وبث فيها علما كثيرا وقد انتفع أهل المغرب الأدنى بعلمه وقد بنى جامع الزيتونة وإليه ينسب السوق المجاور له[1].

قيل أنه سمي بتاجر الله لأنه جعل ثلث كسبه لله عزوجل يصرفه في وجوه الخير، وقد كان يلبس جبة من صوف و كساء و قلنسوة من صوف[2].

ومنهم أيضا أبو عبيد الحميد إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي رضي الله عنه " ت 122هـ"[3]، من أهل الزهد والدين سكن القيروان وتوفي بها بعث إلى إفريقية سنة 99 هـ كان حريصا على ادخال البربر إلى الإسلام، وقد دخل كثير منهم على يده[4].

وقد غلب عليه الزهد والورع والتواضع حتى أنه أوصى أن يتصدق عنه بكل شيء تركه بعد وفاته، وقد كان كثيرا ما يحث الناس على الجهاد و يأتيهم بالآيات والأحاديث في ذلك.[5]

ومن النماذج أيضا:

---

[1]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 203.

[2]- نفسه، ص 205.

[3]- الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 201.

[4]- نفسه، ص 203 .

[5]- نفسه، ص 206 .

أبو خالد عبد الرحمان بن زياد بن أنعم: "ت 16هـ" وهو أول مولود بإفريقية بعد الإسلام ولد سنة 94 هـ ببرقة كان من جلة المحدثين مستويا إلى الزهد والورع صلبا في دينه، له مناقب كثيرة ومشهورة وأثار عدة في الزهد في الدنيا[1].

كذلك محمد عبد الله بن فروخ الفارسي " ت 176 هـ" ولد بالأندلس 115 استوطن القيروان وتلقى العلم بها، يتصف بالتواضع والزهد وعدم الهيبة من الملوك فكان لا يخاف إلا الله عزوجل[2] ومنهم أيضا البهلول بن راشد التجيبي ثم الرعيني روى عن مالك بن أنس والثوري وعبد الرحمان بن أنعم وغيرهم وسمع منه سحنون ويحيى بن سلام وغيرهم ألف ديوانا في الفقه والغالب عليه إتباع مالك[3].

قال فيه الإمام مالك بن أنس: "هذا عابد بلاده "، وقد كان رجلا صالحا و لم يكن عنده من الفقه ما عند غيره، ثقة مجتهد، ورعا مستجابا الدعوة وقد قيل أن رجلا صالحا دخل المدينة يسأل عن البهلول ودفع إليه كتابا ولما فتحه وجده كتابا من عند امرأة من سمرقند بخرسان تقول فيه أنها مجنت، ثم تابت إلى الله وسألت عن العبادة في أقطار الأرض فوصفوا لها 4 بهلول بإفريقية رابع الثلاثة وسألته أن يدعوا الله لها أن يديم لها ما فتحه لها، فسقط الكتاب من يديه، ومازال يبكي حتى تبلل الكتاب ثم قال " يا بهلول سمرقند خراسان، الويل لك يا بهلول من الله إن لم يستر الله تعإلى عليك يوم القيامة "[4].

وقد كانت له أخبار كثيرة في الزهد في الدنيا والتقلل فيها ورقة القلب على أحوال الناس أوردها كتب التراجم.

وقد أورد لنا المالكي في كتابه أن سبب وفاته تلك المحنة التي وقعت له وقد سبقت الإشارة إليها في ان المكي بن مقاتل أمير إفريقية كان يلاصق الطاغية ويبعث له بالألفاظ ويكافئه، وقد

---

[1]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 151 .

[2]- نفسه،، ص 230.

[3]- نفسه، ص 264.

[4]- نفسه، ص 276 .

كتب إليه أن ابعث لنا بالنحاس والحديد والسلاح ولما عزم المكي على ذلك وعظه البهلول لتزول عنه الحجة من الله، فلما ألح عليه في ذلك بعث إليه فضربه بالسوط فبدأت جراحه كلها إلا أثر سوط واحد نَغل فكان سبب موته رحمه الله وكان ذلك سنة 183 بالقيروان وهو ابن 55 سنة دفن بباب سلم وقبره مشهور[1].

ومنهم أيضا تلميذه والإمام سحنون عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ولد في رمضان 160هـ، لقب سحنون منذ صغره وهو اسم طائر معروف بحدة النظر والذكاء وقد أطلق عليه هذا اللقب بعض المشايخ من أهل الحديث لشدة ذكائه في الدرس والتحصيل[2].

كان يتصف بالصرامة والحزم والورع والزهد وقوة الرأي والتخشن في الملبس والمطعم والسماحة وكان لا يقبل من السلاطين شيئا وكان مع ذلك رقيق القلب غزير الدمعة، ظاهر الخشوع متواضعا[3].

اختلف المؤرخون في عدد تلاميذه بين 400 و700 ومن أشهرهم أبو يوسف بن جبلة بن حمود "ت 299 هـ" و يذهب القاضي عياض إلى أن عدد أتباعه 1000 شخص فضلا عن تلامذته الذين اتصفوا بالزهد وتلأوة القرآن مصحوبا بالبكاء والخشوع[4].

وقيل أنه كان عند ابن القاسم وجوابات مالك ترد عليه فقيل له ما يمنعك من السماع منه قال قلة الدرأهم وقال مرة أخرى لحا الله الفقر فلولاه لأدركت مالك، وقد مات الإمام مالك وسحنون لم يبلغه.

---

[1]- المالكي، المصدر السابق، ص 279 .

[2]- الدباغ، المصدر السابق، ج1 ،ص320 .

[3]- المالكي، نفسه، ج1 ،ص 320 .

[4]- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 412 .

وقد ولي قضاء إفريقية، وكان في الحقيقة غير راغب فيه وكان مذهبه في ذلك البعد عن المناصب والإنصراف إلى العلم ومع توليه القضاء امتنع عن أحد القضاء وهو حق وكان يقول: "والله بليت بهذا القضاء وبهم – أي الأمراء – فوالله ما أكلت لقمة ولا شربت لهم جرعة ولا لبست لهم ثوبا ولا ركبت لهم داية ولا أخذت لهم صلة[1].

وقد كانت بلاد الغرب الأدنى مليئة بهذه النماذج من الزهاد والعباد وأهل الرقائق، فقد كان منهم سعيد البكاء وقد كان من الخاشعين المخزونين يقال له كيف أصبحت فيقول ما نمت لأنه كان يتضرع في الليل إلى الله ويقول كيف يا مولاي أقوى على النار وأنا لا أقوى على وجع ركبتي وصلبي اللهم لا تعذب شيبتي في النار وكان كثير البكاء بها كان يقطع أكثر ليله[2].

ومنهم أيضا إبراهيم الدمني صاحب مسجد الخميس كان إذا سمع أية: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾[3] يقوم وينوح ويقول اللهم بحق هذه العناية وهذه الكفاية وهذا الحفظ

احفظ لنا ديننا حتى نلقاك مسلمين[4].

ومن الزهاد أيضا في إفريقية نجد أين أبي زيد القيرواني[5]، الذي كان من أهل العلم والعبادة والزهد والورع والفضل والإحسان انتشرت إمامته في العلم شرقا وغربا كان يعرف بإمام المالكية في وقته وبمالك الصغير له تأليف كثيرة في المذهب كان من أهل الإيثار والصدقة كثير البذل للفقراء

---

[1]- سعدي أبو حبيب، سحنون مشكاة نور وعلم وحق، دار الفكر، دمشق، ط1،1981، ص56 .

[2]- الدباغ، المصدر السابق،ج1، ص 364 .

[3] - القرآن الكريم سورة القصص الآية 07.

[4]- المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 460.

[5]- "أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد عبد الرحمان النفزاوي نسبا القيرواني مولدا ومنشأ ومدفنا، سمع بإفريقية من أبي بكر بن اللباد وأبي الفضل بن الممسي وغيرهم تفقه عليه جل أهل الأندلس والمغرب، له تآليف منها كتاب النوادر والمختصر والمدونة والرسالة وغيرهم، توفي 30 شعبان 386 هـ عاش 70 سنة "، انظر، نفسه، ج 2،ص ،ص :109 ،118.

والغرباء وطلبة العلم كان ينفق عليهم ويكسوهم ويزودهم[1]طلبا للأجر والثواب وزهدا فيما بين يديه ورفقا بحال الفقراء .

ومن أبرزهم أيضا أبو عمران الفاسي[2] أصله من فاس تفقه بالقيروان على الشيخ أبي الحسن القابسي وحضر مجلس أبي بكر الباقلاني وسمع منه و من غيره، كان عالما فقيها بفنون العلم ورجاله والفقه البارع مع الورع التام والزهد، والهيبة والوقار والسكينة، قليل الضحك قيل أن المغربن باديس بعث ابن عطاء اليهودي طبيبه وخاصته إليه ليستفتيه في مسألة فلما دخل على الشيخ في داره، قيل له أنه ابن عطاء إليهودي، فغضب وقال له: أما علمت أن داري كمسجدي فكيف اجترأت على دخولها و أمر بالخروج وكان غير معلم لا يحمل إليهودي" فأمر بصبغ طرف عمامته وقال له :انصرف إلى مرسلك وقل له يبعث إلى برجل مسلم يأخذ الجواب في مسألته فإني استحي أن أحملك أسماء الله وحكما من أحكامه . فلما دخل إليهودي على المعز بن باديس قال له: والله يا سيدي ما ظننت بإفريقية ملكا غيرك إلا يومي هذا، وقد أصابني الفزع والخوف، فقال له المغو: إنما فعلت ذلك لأريك عزة الإسلام و طمعا في إسلامك .

وهذا ما كان يدل على عدم اكتراثه بالسلاطين في طلب الحق والعلم وزهدا في الدنيا فلما كان على فراش الموت جعلت زوجته تمرغ وجهها على قدميه، قال لها مرغي أولا تمرغي فإني والله بهما إلى معصية فقط.

[1]- المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 112 .

[2]- "أبو عمران موسى ابن عيسى أبي حاج الغفجومي، الفاسي، نزيل القيروان، أصله من فاس تفقه على عدد كبيرمن الشيوخ في المغرب والأندلس والمشرق، أخرجه عامل مغوارة على فاس فإشتهر بالقيروان حتى توفي بها 430 هـ .له دور كبير في التصدي للمذهب الشيعي "، انظر ،نفسه، ص161 .

02: المغرب الأقصى

من الواضح أن الغرب الإسلامي قد تأثروا خلال القرون الأولى للإسلام بشكل ملحوظ بظاهرة الزهد والتي تمثلت في النماذج الأولى للفاتحين المسلمين والصحابة والتابعين الذين دخل عدد منهم إلى المغرب و إفريقية بالخصوص.

ومن أوائل الزهاد المغاربة الذين نصادف أسمائهم في المصادر الوسيطة الأمير القاسم بن الإمام إدريس الثاني الذي كان أميرا على طنجة وأصيلا من مدن الشمال ثم اعتزل السلطة وتزهد في مكان على البحر قرب طنجة إلى وفاته.

ومن أبرزهم أيضا في المغرب الأقصى ومنه انتقل إلى القيروان وصحب بها عددا من الزهاد أمثال البهلول بن راشد، وواصل رحلته إلى المشرق وتوفي بسيناء سنة 299 ه وقد بلغ درجة متقدمة في الزهد تدل عليها بعض الأقوال التي أثرت عنه منها تعريف الزهد بقوله :"الزهد تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف جهرا وسرا"[1].

ومن الزهاد أيضا أبو الاحوص أحمد بن عبد الله الذي غادر المغرب وسكن إفريقية وكان مقصدا للزوار للأخذ عنه حتى أن الأمير الاغلبي ابراهيم بن أحمد كان يزوره ويجله ومنهم أيضا جساس الزاهد من زهاد سلجماسة رحل إلى المشرق ثم دخل الأندلس ورابط بمجريط وكان يروي بها كتب الزهد مثل كتاب "الزهد "ليمن بن زرق[2].

أيضا أبو محمد خلف بن علي بن منصور البلوي السبتي الذي كان زاهدا متبتلا سائحا في الأرض لا يأوي إلى الوطن وقد سكن مسجد متعة بقرطبة معتكفا على العبادة وقد كان الزهاد والصلحاء يقصدونه ليسمعوا منه توفي بإلبيرة في الفتنة البربرية سنة 400 هـ[3].

---

[1]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 197.

[2]- محمد المغراوي، من الزهد إلى التصوف بالمغرب (ق6-2ه-12-8م)،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط، ص12.

[3]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 119.

ومنهم أيضا أبو محمد عبد الله بن محسود قاضي مدينة فاس (ت401) وقد رحل إلى القيروان ولقي الإمام ولقي الإمام ابن أبي القيروابي[1]، ثم عاد إلى وطنه وكان من كبار علماء المغرب في عصره ومن أهل الفضل والزهد في الدنيا والإقبال على الله وفي سبتة اشتهر عدد من الزهاد منهم أبو عثمان سعيد بن خلف الله بن ادريس بن سليمان البصري المعروف بالزناجي كان زاهدا متبتلا يقيم معتزلا بمسجده[2].

ومن أشهرهم أيضا تلميذ أبي عمران الفاسي (ت 430) وجاج بن زلو اللمطي[3]، من أهل السوس فبنى دارا سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقراء القران وكان المصامدة يزورونه ويطلبون دعائه لأنه كان مستجاب الدعوة.

وأبو الحجاج يوسف بن حمود بن أبي الصدفي قاضي بستة (ت 428 هـ)[4]، واشتهر بأغمات من الزهاد الفقيه أبو محمد عبد العزيز التونسي الزاهد (ت486ه) بأغمات وهو من تلاميذ أبي عمران الفاسي[5].

ومنهم أبو الحسن علي المكناسي علي بن حمود إمام المالكية بالحرم الشريف أصله من مدينة فاس، كان من أهل الفضل والعبادة والنسك والإرادة رحل إلى المشرق والأندلس ثم عاد إلى فاس ثم رحل نهائيا إلى المشرق وقد كان زاهدا ورعا متقللا في الدنيا معرضا عنها متواضعا سريع الدمعة مشفقا على الضعفاء والفقراء توفي بمكة سنة 573 هـ[6].

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 82.

[2]- نفسه، ج6، ص 85.

[3]- "من أهل السوس الأقصى، توفي 445، رحل إلى القيروان فأخذ عن ابي عمران القاسي ثم عاد إلى السوس فبنى دارا سماها دار المرابطين، مام بمبادئ القران والدين زاهدا ورعا كان المصامدة يزورونه ويتركون " .انظر،ابن الزيات التشوق لرجل التصوف وأخبار أبي العباس السبتي،ت ح: أحمد توفيق ،منشورات الرباط، ط 2، ص84 .

[4]- القاضي عياض، نفسه،ج4، ص 280.

[5]- نفسه،ج4، ص 720.

[6]- ابن الزيات، نفسه، ص 92.

ومنهم أبو عبد الله محمد التأودي كان معلما لكتاب الله وكان رجلا صالحا متعبدا ناسكا متقللا في الدنيا زاهدا فيها[1].

أيضا الشيخ عبد الله القصري المؤدب كان رجلا صالحا متقللا من الدنيا منقبضا عن الناس وكان يعلم الناس القران الكريم فاضلا عالما زاهدا[2].

ومنهم الحسن ابن ست الأفاق الفقيه الصالح كان من أهل الفضل والعبادة والاجتهاد كثير الصدقة وكان له مال أنفقه على أهل الفضل والدين في بناء القناطر وعمارة المساجد وكان صاحب ورع أصله من بسكرة واستوطن مدينة فاس حتى توفي بها[3].

وأبو القاسم بن أبي حاج من أهل مدينة فاس فقيه خير فاضل ورع وعابد زاهد مجاب الدعوة[4] وسليمان الزاهد الشيخ الصالح كان صاحب كرامات عابد مجتهدا خاشعا سخي النفس اتصف بالزهد والتقلل من الدنيا والأعراض عنها[5].

ومنهم علي بن غالب القصري الإمام الفقيه المحدث الزاهد الورع العارف بالله أبو الحرس علي بن خلف بن غالب الانصاري القشري الأندلسي الفاسي فقيه فاس وعالمها من شيوخ أبو مدين الغوث وعبد الجليل القصري كان شديد التمسك بالكتاب متمكنا في علوم القوم نشأ بالأندلس وبها قرأ وتأدب ثم رحل إلى قرطبة واستوطنها ثم انتقل إلى فاس سكن فيها استقر بالقصر الكبير توفي 568ه دفن بباب سبتة، وقد ورث من أبيه ألف دينار فتصدق بها كلها، وقال كان والدي رحمه الله لا يحسن الفقه فسمع شيخه ابن العريف قال يا أبا الحسن هلا طهره الثلث وقد ترك ماله زاهدا في الدنيا واتقاء للشبه.[6]

---

[1]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 102.

[2]- نفسه، ص 169 .

[3]- نفسه، ص 175.

[4]- نفسه، ص 192 .

[5]- ابي عبد الله التميمي الفاسي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح: محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، ط2، 2002، ص 86 .

[6]- نفسه، ص 109.

ومنهم أيضا تلميذ بن وجاج زلو اللمطي الذي أدى دور كبير في حركة المرابطة وجعلها منطلقا للنشاط الدعوي والتربوي نفس الشيء الذي اتمه تلميذه عبد الله بن ياسين الجزولي الذي أسس هو الأخر رباطا كان منطلقا لتأسيس حركة المرابطين التي تحولت فيما بعد إلى دولة مجاهدة والتي اعتمدت في تكوينها طابعا زهديا عمليا بتوجيه الإمام عبد الله بن ياسين الذي تعتبره كتب مناقب العلماء والصوفية احد رجالها، فقد كان من أهل التقى والورع والفقه ،كما كان له عظيم الأثر في الجهاد ضد برغواطة[1]، وقد سبقت الإشارة إليه.

ومنهم أيضا أبو يعزي بلنور الإمام العارف الرباني الزاهد الهزميري الهسكوري من أشهر شيوخه الإمام عبد الجليل القصري السبتي وأبو مدين الغوث وغيرهم توفي 572هـ وقد اناف على المائة بنحو الثلاثين ودفن بعمالة من عمالات مكناس ومن أخباره في الزهد والتقشف انه قد عزف عن الحياة واعرض عنها وأقام بجبال الأطلس المتوسط ،وقد عرف قدر الدنيا فزهد فيها ومن أمثلة ذلك انه كان راعيا كان أهل المواشي يطعمونه كل يوم رغيفا فكان يأكل احدأهما ويؤثر بالأخرى لرجل كان يقرأ القران وله مآثر كثيرة في الزهد وإجابة الدعوة[2].

ومنهم أيضا أبو العباس السبتي الزاهد العالم العارف بالله نزيل مراكش ولد بسبتة 542 وببلدته حفظ وتعلم القران كان أوائل امره يسكن الفندق يعلم الطلاب النحو والحساب وما يأخذه من اجرة ينفقه على الطلبة الغرباء وباقي أوقاته يقضيها متجولا في الأسواق يذكر الناس ويأمرهم بالصلاة ويضربهم على تركها وكانت له أحوال عجيبة وخاصة في ما يرجع إلى الزهد في الحياة وعدم الاكتراث بالمال ومتاع الدنيا [3]ومنهم أيضا عبد السلام بم مشيش امام ائمة الطريقة الشاذلية، ودفين فاس[4]، وتلميذه أبو الحسن الشاذلي[5]اللذان يعتبران من كبار الزهاد وأقطاب المتصوفة في المغرب أبو.

---

[1]- محمد المرغاوي، المرج السابق، ص 25.

[2]- عبد الله التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، الرباط، ط 4 ، 2000، ص 55.

[3]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 230- 240 .

[4]- عبد الله التليدي، نفسه، ص 92 .

[5]- نفسه،ص 120.

03: الأندلس

شهد الأندلس في نهاية القرن الأول وبداية الثاني بعض الميولات الزهدية منذ فجر الإسلام بها، فقد عرفت المنطقة دخول موجات بشرية مشرقية كان ضمنها العباد والنساك مع العلم أن الأندلس، فقد عرف قبل ذلك دخول بعض التابعين مع حملة موسى بن نصير، هؤلاء عملوا على زرع جذور الزهد والورع في تلك البلاد على رأسهم التابعي الجليل حنش الصنعاني[1]ودأوود بن ميمون بن سعيد وتزخر كتب التراجم الأندلسيين بأسماء الكثير من الزهاد والعباد ،الذين كان لهم دور بارز في الوسط الأندلسي بتقوأهم ووعضهم وتخليهم عن بهرج الحياة الدنيا ومن بينهم نعمان بن عبد الله الحضرمي الذي استشهد في دفاعه عن ثغور الأندلس وكان رجلا وزيادين عيد الرحمان تلميذ الإمام مالك وقد كان لشدة زهده لا يستحق شهادة العوام فقط وإنما شهادة الأمراء كالأمير هشام "172- 180" ه الذي وجد أن زياد أحق بأن يوصف بالزهد من غيره[2].

ومنهم أيضا أبو العجنس الزاهد الذي كان معاصرا للحكم بن هشام وقد أثرت عنه كرامات وإجابات للدعوة[3].

وأيضا حسن بن دينار الفقيه الطليطلي وحفص عبد السلام القرطبي وعبد الأعلى بن وهب "ت262 " الذي كان حافظا للرأي زاهدا متقشفا في الدنيا[4].

وإبان بن عيسى بن دينار " ت 262 "الذي كان فقيها غلب عليه الزهد ومنهم أيضا الطاهر القبسي التدميري الذي كان يعد من كبار الزهاد الراحلين غلى المشرق وكان مجاهدا لنفسه بثغور الأندلس إلى جانب المنصور بن أبي عامر[5].

---

[1]- "حسين بن عبد الله، كنيته أبو علي وحنش لقب به، كان مع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، غزى المغرب والأندلس كان بسرقسطة وبها توفي "، انظر الحميدي، جذوة المقتبس،تح روحية عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص178

[2]- ابن فرحون ،الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح : محمد الأحمدي، دار التراث ،القاهرة،ج 1، ص 200 .

[3]- فاطمة زهرة جدو، السلطة والمتصوفة في الأندلس عصر المرابطين والموحدين، إش:إبراهيم بكير، مذكرة لنيشهادة ماجستير في التاريخ الوسيط ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة،2007 -2008، ص 26 .

[4]- ابن فرحون، نفسه، ص 276 .

[5]- الحميدي، المصدر نفسه، ص 116.

ومحمد بن شجاع المتصوف المشهور على طريقة قدماء المتصوفة وذوي السياحة المتجولين كان حيا حدود 400هـ [1].

وأبو اسحاق الألبيري إبراهيم بن مسعود التجيبي الذي تتلمذ على يد ابن زمنين اشتهر بالزهد والتنسك توفي 460هـ، وله ديوان في الزهد والمواعظ[2].

وعبد الله بن ثابت الأنصاري "539ه" الذي جمع بين العلم والزهد واشتهر بإجابة الدعوات[3] وأبو عبد الله بن الحسين بن صاحب الصلاة الذي نعته ابن الخطيب بالشهيد في موقعة العقاب[4] ومنهم أيضا أحمد بن عبد المجيد بن سالم " ت 624 ه" ومحمد بن يوسف بن سعادة "ت535هـ" الذي كان يقضي معظم وقته في تلاوة القرآن ليلا ونهارا كثير الخشوع في الصلاة[5].

وأبو الحكم عبد الرحمان بن أبي الرجال اللخمي الاشبيلي يعرف بإبن برجان أصله من افريقية من أهل الزهد و الاجتهاد في العبادة والتحقق بعلم الكلام والتصوف، له تأليف كثيرة منها تفسير وشرح الأسماء الحسنى توفي 530هـ[6].

وأبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الأندلسي عرف بإبن العريف أحد العلماء المتسمين بالعمل والعلم والزهد.

كان والده من حرس الليل، قرأ بالأندلس واستقر بها كان مقرئا محدثا فقيها ناسكا زاهدا منقطعا إلى الله توفي شهيدا بمراكش 532 هـ[7].

---

[1]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 356.

[2]- نفسه، ص370.

[3]- فاطمة زهرة جدو، المرجع السابق، ص29.

[4]- نفسه، ص 28.

[5]- نفسه، ص 30.

[6]- ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 132.

[7]- نفسه، ص 134 .

وأبو القاسم عبد الرحمان بن أبي رجاء البلوي يعرف بالبلي الأندلسي الإمام الفاضل المقرئ العامل الزاهد روى عنه ابن بشكوال توفي بواد اش 545 هـ[1].

وقبله بقي بن مخلد " 231-276" روى عنه جماعة من حفاظ المحدثين وأئمة الدين والزهاد الصالحين من مصنفاته تفسير القرآن ومصنف في الحديث ومصنفه في فتأوى الصحابة والتابعين[2].

ومنهم أيضا محمد بن بزيغ وضاح والذي عرفت الأندلس بفضله اشارات واسعة لحركة الزهد بفضله وجهود تلامذته في نشر هذه الحركة، مولى عبد الرحمان بن معأوية توفي في 287هـ من شيوخه يحيى بن يحيى بن كثير ومن تلامذته أحمد بن خالد بن الحباب، كان عالما بالحديث بضيرا بطرقه متكلما على علله ورعا وزاهدا، محتسبا في نشر العلم ، نشر بالأندلس علما كثيرا ومن مصنفاته (البدع)[3].

04: المغرب الأوسط

شهد المغرب الأوسط أيضا بداية من القرن 2 حركة زهدية برزت ملامحها الأولى في سياق الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب ،حيث نجد في الأمثلة التي يضرب فيها الزهد الصحأبي الجليل عقبة بن نافع رضي الله عنه الذي يعتبر من أوائل من اتصف بالزهد ممن نسبوه إلى المغرب الأوسط حيث يذكره المالكي في كتابه ممن دخلوا افريقية من أصحاب النبي وكانوا من الزهاد والعباد رضي الله عنهم[4]، وهو عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلف أثار كريمة وكان من خيار الولاة والأمراء ،مستجاب الدعوة ،وكان لا

[1]- ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 142 .
[2]- نفسه، ص 144.
[3]- الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص 312 .
[4]- المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 89.

يبتغي شيئا من أعماله وجهاده في سبيل نصرة الإسلام الا مرضاة الله اتصف في الدنيا وابتعاده عن ملذاتها، قتله البربر بمقربة من تهودة سنة 63هـ وقبره هناك[1].

وقد استقر بتلمسان الزاهد وهب منية احد كبار التابعين والصلحاء ولما توفي أصبح قبره محل زيارة التلمسانيين، ولا شك ان هذا الزاهد يعتبر نموذجا من الزهاء الاخرين الذين لم تحفظ لنا المصادر أسمائهم في هذه المنطقة ،وقد أطلق التلمسانيون على احد أبواب مدينتهم اسم باب وهب ويحتمل أن يكون دخوله لتلمسان مع حملة أبي مهاجر دينار أو في حملة موسى بن نصير على بلاد المغرب[2].

وانطلاقا من القرن 3هجري، برزت حركة الزهد بشكل واضح مثلها سيدي هيدور الذي اتخذ من جبل وهران مكانا يتعبد فيه نسب إليه بعد ذلك[3]وبينما كان المغرب الأوسط يعيش حركة زهدية بطيئة كانت افريقية تشهد حركة واسعة ،تزعمها سحنون بن حبيب التنوخي الذي انتشر إتباعه في كافة افريقية وجلس لتكوينهم، فأخذ عنه من زهاد المغرب الأوسط الشاعر بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي (2950)[4]، بالقيروان في مدة إقامته الثانية التي مكنته من الاحتكاك بزهاد آخرين.

ومنهم أيضا الزاهد قاسم عبد الرحمان بن محمد التاهرتي الذي هاجر إلى الأندلس سنة 317هـ رفقة ابنه أبو الفضل (395هـ)[5]، الذي كان من كبار الزهاد في الأندلس وخلال القرن 4 هـ أخذت تتسع وقد عرف في هذه الفترة بالمغرب الأوسط الزاهد أبي القاسم عبد الرحمان الهمذاني المعروف بالخزار(الوهراني) ت 411 وعرف عنه ملازمته بالقيروان للزاهد المتقشف أبو العباس التميمي مدة 4 أعوام تأثر خلالها بالعلم وطريقته في الزهد قائمة على الورع

[1]- ابن الآبار،الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، 1923، ص 250.

[2]- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، ص96.

[3]- نفسه، ص 47.

[4]- تلقى علومه الاولى بتيهرت ثم رحل إلى القيروان ومنها إلى البصرة سنة 217، تلقى العلوم على يد عدد كبي من الشيوخ ثم عاد إلى القيروان شيخ من شيوخ الزهد، انظر الدباغ، المصدر السابق،ج 2، ص 281.

[5]- الطاهر بونابي، نفسه، ص 50.

والسخاء والمروءة ،كما قام القاسم الوهراني برحلة طويلة استمرت 20 سنة ،زار خلالها أشهر بيئات الزهر كالبصرة وبغداد والحجاز ومصر،ثم إلى الأندلس وأقام فيها مدرسا فتخرج عن يديه كثيرا من الطلبة أمثال حاتم الطرابلسي ومحمد بن غليون الخولاني وقد توفي بألميرية وقد كان زهده قائما على السنة النبوية والانقباض والعلم[1]، حيث اشتهر بحبه للعلم والمكابدة من أجله حيث كان يبيع الثياب بين بجاية وقرطبة ويشتري بثمن ربحها كتبا[2].

ومنهم أيضا داوود أيوب المغراوي الذي اتخذ محلا على البحر يقع بين وهران والمرسى الكبير يتعبد فيه رفقة جماعة من الصالحين والمتعبدين[3]، وغيره من الذين انقطعوا إلى الربط لحماية المسلمين والانقطاع إلى العبادة مثل الزاهد أبو محمد عبد الله التاهرتي الذي رابط بقصر سوسة محتسبا للحراسة إلى ان توفي في 313هـ وكان م قبل في تيهرت صاحب منهج زهدي[4].

ونفس الظاهرة مثلها الفقيه أحمد بن خلوف المسيلي المعروف بالخياط الذي استقر بأحد ثغور الأندلس مجاهدا في سبيل الله[5].

ومن الزهاد علي بن محمد التدميري الذي استقر ببونة إلى غاية وفاته بها 347ه حيث جمع في حياته بين الفقه والزهد وكثرة التأليف[6]، وفي القرن الخامس من أوائل الزهاد في هذا القرن الفقيه الزاهد أبو عبد الملك بن مروان بن محمد الأندلسي الذي نزل ببونة وأسس بها رباطه توفي 404 وبرع في الفقه والحديث وتخرج على يده عدد من الفقهاء والزهاد[7]، وفي هذا القرن شهدت بجاية عودة الزاهد أحمد بن واضح الذي نقل إليها ما تعلمه أثناء رحلاته المشرقية والقيروانية[8].

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 690.

[2]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 317 .

[3]- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص52 .

[4]- المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 182.

[5]- القاضي عياض، نفسه، ج4، ص 628.

[6]- نفسه، ج3، ص 354 .

[7]- ابن فرحون، المصدر السابق،ج1، ص 345.

[8]- الطاهر بونابي، نفسه، ص 53.

ومنهم الفقيه الزاهد أبو عبد الملك مروان بن محمد الأندلسي (ت440) الذي بادر بتأسيس رباط ببونة ومكث فيه يعلم ويصنف المؤلفات[1]، وذاع صيته ومازال موضع رباطه ومسجده محتفظا بتسميته سيدي مروان بمدينة عنابة[2].

أما في القرنين السادس والسابع الهجريين فقد شهد المغرب الأوسط ظهور بعض التيارات الصوفية وقد مثلها مجموعة من الزهاد أبرزهم أبو محمد عبد الحق الاشبيلي (ت581هـ) الذي أقام في بجاية 31 سنة خطيبا وإماما بجامعها الأعظم وزاهدا متفلسفا يقسم ليله ثلثا للقراءة وثلثا للعبادة وثلثا للنوم ،فضلا عن عدم مهادنته لأهل البدع والخرافات، فضلا عن مصنفاته في الرقائق.[3]

ومن أبرزهم أبي مدين شعيب الذي بدأ رحلته في طلب العلم بمغادرته الأندلس ونزوله في حواضر المغرب أبو واستقراره لسنوات في فاس وقد أخذ عن أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن السلاوي و أبي يعزى يلنور (572هـ) وغيرهم ورحل بعدها إلى المشرق أين احتك بكبار العلماء والزهاد والمتصوفة أبرزهم عبد القادر لجيلاني (ت560)[4].

وبعدها دخل بجاية واستقربها مدرسا ومربيا وقطبا إلى غاية رحيله الأخير عنها 594ه حين استدعاه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580-595ه) إلى مراكش وقد كان من أقطاب التصوف وقد حصر مفهوم الزهد والتقشف في تطهير القلب من حب الدنيا وملئه بحب الله[5]

وأبي زكرياء يحي الزواوي الحسني (ت611) الذي يذكره الغربيني بأنه من كبار المتعبدين والزهاد حيث كان يقضي معظم وقته في مسجده الخاص يتعبد فيه أما نشاطه التعليمي فكان حافلا بدروس الفقه واصوله وتفسير القرأن التي كان يلقيها على الطلاب وغيرهم من النماذج التي يحفل بها تاريخ المغرب الأوسط التي أثرت في مختلف جوانبه.

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 710.

[2]- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 59.

[3]- الغبريني، عنوان الدراية فيمن من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق، بيروت، ط2 1979، ص 73.

[4]- ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 164 .

[5]- الغبريني، نفسه، ص 62.

المبحث الثاني : مظاهر الزهد والرقائق في الغرب الإسلامي

01: الدفاع عن الإسلام وأهله :

لقد سأهم الزهد وبشكل كبير في الدفاع عن الإسلام وذلك من خلال المرابطة والجهاد في سبيل الله ومحاربة أهل البدع والظلال والدفاع عن الرعية والنظر في شؤونهم .

1-المرابطة :

لقد تحمس أولو الأمر والناس لإقامة الربط يدفعهم إلى ذلك دوافع أمنية ودينية إذا ابتغوا بها مرضاة الله وثوابه[1].

ويبدو أن المرابطين كانوا سكنوا القصور في ترتيب ونظام وفقا لمكانتهم وعلو شأنهم في الرباط فكان كبارهم يسكنون غالبا الأبراج التي تكون عادة في الطابق العلوي من القصر، ولعل سكنى الأبراج العالية لم يكن تشريفها لكبار المرابطين فحسب، وإنما كان أيضا ثقة في قدرتهم على المراقبة وصبرهم عليها لأنهم الأكثر عبادة وقياما في الليل بين أهل الحصن ومن ثم كانوا أقدرهم مثابرة على المراقبة[2].

وقد كان كثير من هذه الشخصيات يرابطون في تلك المحارس والقصور يحرس المسلمين من الغارات المفاجئة التي يشنها أعداء الإسلام على السواحل وكما كانت الربط تكسب شهرة من عظيم دورها في حماية السواحل فقد كان بعضها يكتسب أيضا شهرته من سكن الأعلام الزهاد ومشاهيرهم إياها وكان الناس كثيرا ما يفدون إلى احد القصور لمشاركته زاهدا يعينه في الرباط والحرس على المسلمين صحبة لهم وتبركا بهم[3].

[1]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 73.

[2]- نفسه، ص 74.

[3]- نفسه، ص 78 .

و لم تقتصر حراسة الزهاد للسواحل على سكن الربط وإنما أقام بعضهم بما يسمى (الدور) بمعنى الدوران أو المرور على الحصون تفقدا وتحميسا لأهلها وحراسة للعدو الشلل منها بين القصور و المحارس مما كان يؤيد من أحكام الحراسة على السواحل[1].

وكان ممن قام بهذه الدوريات أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المسوحي[2]، وسعدون بن احمد الخولاني وكان يصحبهما في القيام بتلك الدوريات عدد لا باس به من المرابطين الذين يرافقون هؤلاء من الزهاد للمرابطة تأسيا بهم[3].

2- التصدي لأهل الزيغ والضلال والبدع:

كان ابرز ما قام به الزهاد المغاربة على ادوار الساحة المغربية ذلك الدور المهم في التصدي للشيعة العبيدية كون أن اغلب الزهاد المغاربة مالكيين[4].

وكانوا على خلاف دائم معهم منحازين في ذلك الة جانب عامة أهل المغرب ضد العبيديين و لم يبالوا في سبيل نصرة العامة بصنوف الاذى التي تلحق بهم من قبل هؤلاء الحكام بل قاوموه بشدة[5].

ولما كان الفكر الشيعي دخيلا على المغرب شارك المغاربة علماء وفقهاء وزهادا مشاركة فعالة ومؤثرة في المقاومة ضد الشيعة العبيدية وتنفير أهل المغرب من التشيع، فعلى نجد أن مقاومتهم اتخذت عدة أساليب منهم من التحق إلى ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد والانزواء بعيدا عن أنظار العبيديين ومقاطعة الصلوات التي يقيمها العبيديين بالمساجد وإقامة المناظرات وبث العلم وإقامة المجالس والحلقات ومن الذين كانوا يجتمعون لأجل ذلك أبو بكر بن اللباد وأبو محمد بن أبي زيد القيرواني وربيع القطان وغيرهم وقد كان جبلة بن حمود الصدفي واحدا ممن أقاموا الشيعة العبيدية

---

[1]- الطاهر بوناني، المرجع السابق، ص 66.

[2]-"من المجتهد في العبادة، كان يتحرى الحلال في مأكله ومشربه توفي 302 هـ" انظر المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 414 .

[3]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 45 .

[4]- الطاهر بوناني، نفسه، ص 45 .

[5]- محمد بركات البيلي، نفسه، ص 142 .

بل انه ترك الرباط في الثغر معلنا أن التصدي للشيعة أكثر وجوبا منه بقوله :"كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر والآن هذا العدو ساحتنا وهو اشد علينا من ذلك وقال أيضا :"جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشرك "[1]

وكان ممن قاومهم أبو افضل العباس بن عيسى الممسي[2]والذي كان من كبار فقهاء المالكية في افريقية ورعا وزهدا وأيضا قاومهم أبو سليمان بن ربيع القطان الذي كان ممن عقدوا الخروج لقتال الروافض مع شيوخ القيروان وقتل في وادي الملح مع حصار المهدية سنة 334 هـ.[3]

ومنهم أيضا منيب الملقب بمؤذن العروس كان يؤذن بمسجد أبي عياش، قتله الشيعة لأنه لم يقتل في اذانه "حي على خير العمل "وأبو عبد الله محمد بن العباس ابن وليد الذهلي المعروف "بدعدع"(ت329) الذي كان شديد البغض للشيعة ويطعن في مذهبهم، ضربه في ذلك القاضي النفطي ،ومنهم أبو بكر بن محمد بن وشاح المعروف بإبن لباد (ت333هـ) جرت عليه محنة على يد قاضي الشيعة ابن أبي منهال، ومحمد بن عبد الصمد من علماء وقته كان يعظ الناس فكان يجتمع إليه خلق كثير ويحرض الناس على الشيعة قبل أن ينقلب عليهم المعز بن باديس توفي بالفتنة التي نشبت بالقيروان ضد الشيعة حوالي 435هـ.[4]

كما حاربوا الفكر الاعتزالي الذي انتشر بلاد افريقية ووجد بها من اعتنقوا هذا الفكر ودافعوا عنه في مناظراتهم، كما سعوا إلى نشره في المجتمع ،بل وحتى أن بعض الأمراء الاغالبة تبنوا الاعتزال وعملوا على ترويجه[5].

---

[1]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 283 .

[2]- "عباس بن عيسى العباس الممسي، كان فاضلا، عالما، قواما، استشهد معه 85 رجلا في الحرب ضد الشيعة العبيدين " انظر، نفسه، ج2، ص 292 .

[3]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص118.

[4]- نفسه، ص ص: 119،125.

[5]- حفيظ كعوان، أثر الفقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية من القرن (5-2 هـ)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي، اش إسماعيل سامعي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة العقيد لخضر، باتنة، 2008 -2009، ص 49.

ولما كان معظم زهاد المغرب الإسلامي مالكية فإنهم لم يرضخوا لمطالب الأمراء وأهواء الذين ثبتوا هذا الفكر الاعتزالي بل تصدوا له غير آبهين بما سيحدث لهم من خلال محاربة أفكارهم والتعريف بهم وإخراجهم أمام طلبة العلم من أمثلة ذلك أن الأسد بن فرات كان يعرض يوما للتفسير على طلبته فلما تلى القارئ قال: "ويح لأهل البدع يزعمون أن الله خلق كلاما يقول ذلك الكلام أن الله لا اله إلا أنا" [1]

ومن خلال نشر الحجج المدحضة لأراء أهل الاعتزال ومحاولة الحد من أفكارهم بين العامة فيذكر لنا المالكي أن البهلول بن راشد سأل يوم رجلا كان جالسا عنده عما تحتج به القدرية فسكت عنه ذلك الرجل حتى تفرق الناس عنهما ثم أخبره أن سكوته كان خوفا من أن يلتبس الأمر على العوام فيعجبوا بآراء القدرية أو يتبنوها ثم يغدو الواحد فيقول "سمعت هذا الكلام في مجلس البهلول " فقال له والله لأقبلن رأسك أحييتني أحياك الله وكذلك من خلال القيام بالمناظرات"[2].

كما دافع الأعلام الزهاد عن الإسلام فقد دافعوا عن أهله من الرعية وعملوا على الحفاظ على حقوقهم فقد أثارت هذه الفئة من الزهاد على المجتمع بمختلف فئاته وهذا ما أظهرته مواقفهم التي شكلت عنصرا أساسيا في حياة ذلك المجتمع فقد كان لكثير منهم جاه كبير سيما وقد كانوا لا يخشون إلا الله في أعمالهم ،فقد كانوا يأمرون بالمعروف الحكام وذوي السلطان وينهون عن المنكر، وقد سبقت لنا الإشارة إلى موقف البهلول بن راشد مع محمد بن المقاتل العكي والحادثة التي كانت سببا في وفاته[3].

و لم يكتف بعض الزهاد بأمر الحكام بالمعروف وإنما كانوا يتصدون لظلمهم ويدفعونه عن العامة إذا لزم الأمر ،فقد كان أبو خالد عبد الخالق القتاب كثير الأمر بالمعروف قليل الهيبة للملوك، رفض أن يقبل مالا من إبراهيم بن الأغلب ما احنق الأمير الأغلبي فقال لعبد الخالق

[1]- حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 50.

[2]- نفسه، ص 53.

[3]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 95 .

لأفسدكم البربري (يقصد البهلول بن راشد)والله لو أدركته لجعلته يرقص خلفي ،فرد عبد الخالق عليه غاضبا والله لو أدركته لكنت أهون عليه من هذا الطين الذي يعجن بين يديك "[1]، وقد كان أبو جعفر القمودي يدفع الظلم عمن يلجأ إليه من المتضررين من جور الحكام طالبين منه أن يدفع عنهم ظلامهم، وكان أبو عبد الله محمد بن أبي حميد السنوسي لا يتو إلى عن التصدي لمظالم الحكام فقد تصدى لإبراهيم بن أحمد الأغلبي حين عزم على تخريب سوسة وإيذاء أهلها لكن أبي حميد نهنه عن إنقاذ ذلك فتأثر إبراهيم من كلامه حتى بكى ثم قفل عائدا إلى القيروان[2].

وهناك مظهر أخر من التصدي للظلم وهو الوقوف مع الرغبة ففي عهد الحكم الأول (180-206هـ) الذي اشتهر بمجالسة الشعراء والندماء فكان هذا كافيا لتاليب العامة عليه فحاولوا الإطاحة بحكمه في موقعة الربض[3]،وقد كان بعض الزهاد موقف من هذا حيث وقفوا صفا واحدا مع الفقهاء ضد السلطة وذلك خوفا على المصلحة العامة واستهتار الحكم الأول وكان من نتيجة هذا الموقف أن امتحنهم الحكم امتحانا عسيرا وقد نجا منهم فقط من بادر بالهروب وقد حوكم الزهاد بسبب موقفهم من الوضع السياسي بسبب أرائهم وميولاتهم [4]

ومن مظاهر اهتمام الزهاد بالرعية ما أورده المالكي في كتابه على أنه كان شاب يطلب العلم عند البهلول بن راشد ثم اقبل على المجانة فأعلم بذلك البهلول فساءه حاله فبينما هو جالس إذا مر به الشاب تحت ثوبه طنبور، فقيل للبهلول انظر إليه وما إلى تحت ثوبه ،فقال لعله ذاهب لكسره وبعدها مضى البهلول بنفسه لبس الشاب وسلم عليه وأخذ يعظه ويرفق قلبه ويعتاد بذلك رجع الفتى كما كان فيه ثم عاود مجلس البهلول[5].

---

[1]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 109.

[2] - نفسه، ص 123.

[3]- "أو ثورة الربض هي ثورة حدثت بقرطبة في 3 رمضان 202ه قام بها أهل قرطبة، خاصة سكان الربض شقندة ضد حكم الأمير الحكم بن هشام بتدبير من مجموعة من الفقهاء" انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 320.

[4]- الدباغ، المصدر السابق، ج 1، ص 110.

[5]- نفسه، ص 111.

02: مجالس العلم وحلقات الرقائق

كان لكثير من هؤلاء النماذج من العلماء والزهاد مجالس علم يقصدها الطلاب والناس للأخذ عنهم وحلقات يلتف حولها الدارسون وكثيرا ما كانت تعقد هذه المجالس في المساجد حيث كان لبعض منهم مساجد تنسب إليهم يعقدون فيها حلقاتهم وكان من اختصت مجالسه بالذكر والسماع مثل مسافرين سنان الواعظ الذي كان الناس يجتمعون إليه بالذكر[1]، وكان أبو محمد خلف بن علي بن ناصر (ت400) يسكن مسجد متعة بقرطبة يقصده فيه الصلحاء والزهاد وسمح منه جماعة من علماء قرطبة وغيرها كذلك مجالس أبو عياش بن موسى بن مخلد الغافقي يقال له عيشون كان يميل إلى الرقائق ويختم مجالسه بذلك[2].

وقد سبقت الإشارة إلى مسجدي السبت والخميس اللذان كانا تعقدان فيه أشهر مجالس الذكر والرقائق في افريقية وتلقى فيه الرقائق وكانت رحلة العلم إليهم في طلب العلم والقراءة من الكتب، ومنهم أيضا مجلس إبراهيم الدمني المتعبد الذي بنى مسجد .في الدمنة فكان الناس إليه.

كما نذكر المصادر أن المجالس والرقائق كانت تقام في الأعياد الدينية مثل ما كان يحدث في ليلة النصف من شعبان فكان الناس يجتمعون مع القراء للذكر وليلة النصف من رمضان[3].

و لم تكن المساجد هي المكان الوحيد الذي تقام فيه مجالس العلم والرقائق بل كان بعض العلماء والزهاد يقيمون هذه المجالس في ديارهم وكان منهم من يهيأ المكان في أحسن حالة ويقدم الطعام للطلبة كل على حسب ظروفه بالإضافة إلى الحوانيت وكل الأسواق[4].

وقد كانت سطوح المنازل أماكن مناسبة للتعلم وإقامة الحلقات اذ كانت تفرش كانت تفرش سطوح الحصيرة للطلبة إضافة إلى الدور الذي أدته الزوايا في هذا المجال .

---

[1]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 95.

[2]- نفسه، ص 203.

[3]- نفسه، ص 204.

[4]- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 2 ،1982، ص 296 .

وقد كان السماع أو الإلقاء يتم باتخاذ العالم موضعا ما ويستحسن أن يكون مرتفعا فإن لم يجد استملى وهو قائم[1].

كما وقد حرص الزهاد على نسخ الكتب وجلبها أثناء رحلاتهم إلى مختلف الأقطار الإسلامية واستظهارها بعد عودتهم إلى بلادهم ،كما كانت لهذه المجالس التي كانت تلقى فيها هذه الكتب أثر كبير في نفوس السامعين ،فمن خلالها يتم تذكيرهم بربهم ودينهم ودفعهم إلى الزهد في الدنيا[2].

ففي مثل هذه المجالس والحلقات كانت تقام الأذكار والأناشيد وتنشد الرقائق فكانت هذه الحلقات والمجالس تجذب أعدادا غفيرة من أهل المغرب ممن كانت الرقائق والأذكار تستهويهم[3].

03: الإعراض عن الدنيا والتقلل منها

إن أهم ما يؤثر على الزهاد التقلل في الدنيا والإعراض عنها وترك أمورها وبهرج الحياة الدنيا ومن أمثلة ذلك ما أوثر عن الزهاد في منطقة الغرب الإسلامي من عدم حبهم للحياة الدنيا والإعراض عن المناصب في الدولة ورفض الأعطيات من سلاطينها وتحري الحلال في مأكلهم ومشربهم .

ومن أمثلة ذلك أن الإمام سحنون كان لا يتقاضى من أموال الخلفاء أو العمال شيئا أي راتب منتظم من الأمراء وقد عاصر 5 أمراء اغالبه وكان لا يهاب سلطانا في حق[4].

كما هو الحال للزاهد محمد بن مسروق الذي نشأ في رفاهية من العيش وكان والده مسروق خليفة موسى بن نصير في المغرب ،فزهد في جميع ما تركه والداه وكان بعد ذلك يمر بقرية من قرى أبيه فيخرج فيقول إن كنتم صادقيين فانتم أحرار ومالكم لكم[5].

---

[1]- محمد عبد الحميد عيسى، المرجع السابق، ص 102.

[2]- نفسه، ص 280.

[3]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 102.

[4]- سعدي ابو حبيب، المرجع السابق، ص 65.

[5]- الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 329 .

وكان جبلة قد ورث من أبيه رباعا كثيرة و أموالا فترك ذلك زهدا وتورعا حتى جرد من ثيابه وبقي عرانا حتى كساه سحنون[1].

وقد كان من مظاهر زهدهم وورعهم رفضهم لأعطيات السلاطين فقد رفض الشيخ الحسن أبركان أعطيات السلاطين واعتبرها تقييدا له، كما كان كذلك سحنون وكما كان محمد السنوسي (ت895هـ) لا يقبل بذلك واذا جاء ووجدها بداره أنكر على أهله ذلك[2].

حتى أن بعضهم رفض أخذ الأجرة عن الوظيفة أو العمل الذي يؤديه، كما كان عدم طمعهم .بما في أيدي الناس شكلا آخر من أشكال الورع والزهد عندهم فقد جرت عادة الفقيه أبي العباس احمد بن مرزوق (7410) أنه لا يأكل عند أحد من الناس وحرصهم الشديد على الحلال في المأكل والملبس ومصدر العيش، ولم يكونوا يلبسوا فاخر اللباس ولم يخضعوا أنفسهم بلباس معين .

مظهر أخر في هذا السياق رفضهم تولي المناصب في الدولة كأبو محرز محمد بن عبد الله القاضي حيث قال له ابن الأغلب ،قد عزمت عليك لتوليك القضاء فرفض ذلك وقال له لست أصلح لهذا الأمر ولست أطيقه ولكنه قبله رغما عنه وعندما تولي القضاء جمع كل عبد له وماشية وأراهم للناس وقال لهم هذا ما أملكه وإنما أوقفتكم عليه لتعلموا أنني متى زدت على ذلك فاعلموا أنني خائن[3].

وقد اضطر الفقيه الأصولي محمد بن إبراهيم الأبلي (ت 757) إلى الفرار من السلطان الزياني أبي موسى بن عثمان (707-718) ه متجها إلى المغرب وكان سبب فراره رفضه الوظيفة عند السلطان وضبط الجباية له ،كما فر المفتي الفقيه أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت914) إلى مدينة بعدما حصلت له حادثة مع السلطان.

---

[1]- الدباغ، المصدر السابق،ج2، ص 278 .

[2]- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف بالمغرب الأوسط ما بين ق7.9 هـ، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ص 65.

[3]- نفسه، ص 73.

كما كانوا يرفضون الخطط والتعيينات السلطانية المعروضة عليهم ومن بينها القضاء كرفض كل من أحمد بن عثمان بين عجلان القيسي (675هـ) وعبد الحق بن أحمد الأنصاري (ت675هـ) فالأول عرض عليه القضاء في افريقية والثاني في بجاية وكلهم أبو وامتنعوا .[1]

[1]- حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 75 .

المبحث الثالث: الانعكاسات على المجتمع

01: الديني الثقافي

شهد المغرب الإسلامي منذ القرن الثاني هجري حركة علمية وثقافية وذلك عقب استقرار الفتح الإسلامي والاهتمام الكبير الذي أولاه الفاتحون بنشر العلم ولاشك أن الزهاد كانوا أحد ركائز هذا النتاج الثقافي نظرا لكونهم مثلوا فئة واسعة داخل المجتمع ون أهم نتائج الحركة الزهدية نشر الإسلام وتعاليمه فقد سأهم الزهاد من التابعين بإدخال البربر إلى الإسلام وتعليمهم مبادئ دينهم .

كما تعد الرحلة في طلب العلم أهم انعكاس ثقافي لهذه الحركة ،فقد كان كثير من الزهاد ينتهجون السفر للحج وطلب العلم أو سعيا للقاء أعلام الزهاد في أرجاء العالم الإسلامي و لم تكن تلك الأسفار تعزلهم عن الناس وإنما كانت تزيدهم قربا منهم واختلاطهم ،فقد كان الناس يقصدونهم في كل بلد يترلونه للتعلم عليهم في إطار بلاد المغرب الإسلامي[1]، ومن ذلك رحلة أبي عبد الله السوسي من السوس الاقصى إلى افريقية، ورحلة إسماعيل بن رباح[2]، من جزيرة شريك إلى القيروان.

أما نحو المشرق نجد عبد الرحمان بن زياد أنعم المعافري إلى المشرق والتي لقي فقيها سفيان الثوري في مكة ورحلة محمد بن مسروق الزاهد، وخرج عبر هؤلاء كثيرون في رحلة العلم إلى المشرق واتصلوا بزهاده وعاد في افراد المجتمع[3].ومن بينهم وأشهرهم كما تذكر كتب التراجم رحلة عبد الله بن فروخ الفارسي، وعلي بن زياد، والبهلول بن راشد ،وقد أقبل هؤلاء على نشرها تلقوه من علم بعد عودتهم إلى افريقية،كما جلبوا العديد من المؤلفات إليها[4].

---

[1]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق ،ص 59.

[2]- "إسماعيل بن رباح الجزري، من المجتهدين، مستجاب الدعوة، كثير المعروف، أصله من جزيرة شريك ثم سكن القيروان توفي 212هـ غريقا بعد عودته من الحج "، انظر المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 334 .

[3]- محمد بركان البيلي، نفسه، ص 61.

[4]- فاطمة الزهراء، جدو، المرجع السابق، ص 63.

كما سأهم الزهاد في العلوم الشرعية كالفقه فقد أولو له عناية كبرى وذلك من أجل ايجاد حلول شرعية مناسبة لكل مستجدات الحياة التي تظهر في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فنجد من ابرز الزهاد الفقهاء ابن أبي زيد القيرواني، وعلي بن زياد، والبهلول بن راشد والإمام سحنون ومحمد بن عبدوس، وقد كانت لهم مؤلفات في هذا المجال وهي غنية عن التعريف كالمجموعة والمدونة وغيرها.

كما ساهموا في علم الحديث من أشهرهم عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري وفي التفسير بقي بن مخلد الذي يعد كتابه من أحسن التفاسير[1].

كما وقد أسهموا في حركة التأليف فنجد كثير من الزهاد على غرار تأليفهم في الفقه وعلم الحديث تأليف في الزهد والرقائق منها كتاب حياة القلوب في الرقائق والزهد لأبو عبد الله محمد بن عبد الله أبي الالبيري (ت399هـ)[2].

وكتاب الاستبصار لأبي عمرو بن عبد الرحمان العبسي الاشبيلي (ت379ه) وهو كتاب في الزهد، أيضا نجد منهم أبو الحسن عللي بن زكريا المعروف بإبن ذكرون له تأليف كثيرة ومصنفات في الفقه وكذا في الرقائق.

وكتاب سبل الخيرات في المواعظ والرقائق ليحيى بن نجاح (ت422ه) وكتاب الوصول إلى الغرض المطلوب من جواهر قوت القلوب للشيخ محمد بن خلف الأموي (ت 485هـ) وشفاء الصدور في الوصايا والمواعظ والزهد والرقائق لأبي محمد بن عتاب (ت520ه) كما الف بن وضاح كتاب العباد والعوابد[3].

وقد ساهموا إلى جانب ذلك في نشر العلم وذلك لما اشتهروا به من حبهم لهم وتقديهم لأصحابه بإعتباه ضروريا وحتميا لتطوير حركة العلمية فقد قاموا بحركة التعليم وقد مست هذه

---

[1]- ابن شكوال، المصدر السابق، ص 99.

[2] - "توفي 399هـ من كبار المحدثين والعلماء الراسخين أجل أهل وقته بالأندلس قدرا في العلم والرواية والحفظ متفننا في الآداب له تأليف كثيرة في الزهد والرقائق والوعظ وإشعار كثيرة "انظر، نفسه 161.

[3]- فاطمة الزهراء جدو، المرجع السابق، ص 69.

الحركة كل فئات المجتمع من شباب وأطفال وعامة الناس، كما قد سبقت الإشارة إلى التعليم في الكتاتيب والذي يعد مرحلة أولى وابتدائية ينحصر فيها التعليم على تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القران، وقد مارسوا الشباب ولقنوهم فنون عديدة في المساجد والرباطات وفي حلقات الدرس وكان الطلبة يقبلون على النحو واللغة والفقه والأدب ،وكان يتم ذلك في المساجد المشهورة كجامع تلمسان والقيروان والقرويين، إضافة إلى كل هذا فإن الشباب المتعلم كان يجوب الأقطار وكان كثير منهم يرتحل إلى أقطار الغرب الإسلامي ما اثر في الحركة الفكرية، وقد شمل التعليم عامة الناس لرفع مستواهم في المعرفة الدينية، فقد كانت العامة تزدحم في المغرب الأوسط على الدروس وفي الجامع الأعظم وكذا القيروان وخاصة في دروس الفقه والحديث[1].

02: سياسيا

لقد وردت إشارات كثيرة في المصادر أنه لم يكن للزهاد والعباد بصفة عامة دخل في أمور السياسة والحكم ،ذلك لما تحلوا به من نبذ الحياة والجاه والسلطان لا غير أن العديد من هذه الطبقة اثروا بطريقة أو بأخرى في الحياة السياسية للغرب الإسلامي، وخير مثال نورده في هذه المشاركة أثرهم في تأسيس وقيام الدول خير دليل على ذلك الدور الذي سأهم به عبد الله بن ياسين الجزولي في قيام دولة المرابطين ،كما ساهمت تعاليمه والتي اعتبرت ثورة حقيقية على نمط حياة الملثمين في إعادة وإصلاح العقائد وبناء أساس متين لدولة الحق وقد سبقت الإشارة إلى رباطه الذي اتخذه على مصب نهر السنغال وكان هو ومن معه في هذا الرباط النواة الأولى لتشكيل دولة المرابطين[2].

كما هو الحال بالنسبة لدورهم في نصرة الإسلام في الأندلس وجهاد النصارى وتوحيد العدوتين خاصة بعد فتاوى العلماء والفقهاء على ذلك ،والأمير يوسف بن تاشفين بورعه وزهده وتقواه لم يكن ليتراجع عن قرار أوجبه عليه الشرع[3].

---

[1]- فاطمة الزهراء بن جدو، المرجع السابق، ص 79.

[2]- محمد محمود عبد الله بن بيه، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي اش : محمد حسب الله "كلية الشريعة، جامعة أم القرى، 1998، ص 46.

[3]- نفسه، ص 59.

ومن خلال تلك الفتاوى يتضح دورهم في الحياة السياسية في الحياة السياسية في الأندلس في القرن 5ه وتجلى ذلك الدور تأثيرهم على سياسة الحكم ويعزى نجاحهم إلى التأييد الذي حصلوا عليه من أفراد المجتمع ،لأنهم نظروا إليهم كحماة للدين والحريصين على وحدة ومصالح المسلمين[1] وتجلى دورهم من خلال رفضهم لسياسة ملوك الطوائف والسعي لوحدة المسلمين ومواجهة الخطر النصراني والدعوة إلى الجهاد، ثم طلب العون من دولة المرابطين الفتية وإقناع ملوك الطوائف بهذا الخيار وعلى غرار هذا الدور الذي أداه الزهاد في المشاركة في تأسيس وقيام الدول، فلقد كانت لهم مشاركات في الحياة السياسية في الغرب الإسلامي من خلال تقلد بعض المناصب المهمة في الدولة ذلك خدمة للمصلحة العامة للمجتمع فمن بين الذين تولوا مناصب القضاء مثلا :أبو عبد االله بن غانم القاضي (ت190ه) الذي تولى القضاء في الدولة الأغلبية وهو ابن 42سنة[2]، حيث كان دقيقا في القضاء وعادلا فيه، وكان إذا التبس عليه أمر أرسل إلى الإمام مالك يستشيره[3]، وهذه الدقة والسيرة الحسنة لدى القضاء أكسبته منزلة راقية عند الخليفة فكان الرشيد إذا كتب لإبراهيم الاغلب يكتب في عنوانه "من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى قاض افريقية عبد الله بن عمر" وقد كانت ولايته طرف الخليفة وليس الوالي[4].

ومنهم أيضا البهلول بن راشد الذي تولى قضاء افريقية وكان مكرها على توليه وبعداها عفي منه والإمام الذي ولي القضاء بإفريقية 234 ولما أراد محمد بن الاغلب أن يوليه القضاء قام بجمع كبار العلماء والفقهاء للمشورة في الرأي .بالرأي عليه وهذا لقول سليمان عمران :ما ظننت أن يشاورا في سحنون وما يستحق احد القضاء وسحنون حي"[5].

---

[1]- عمر راجح شبلي، دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال ق5هـ، مجلة الجامعة الإسلامية، ص 261.

[2]- أبو العرب، المصدر السابق، ص 149.

[3]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 95.

[4]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 102 .

[5]- قدم خولة حسناء، دور الفقهاء في الحياة السياسية والفكرية في الدولة الاغلبية، مذكرة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الإسلامي، اش :مسعود خالدي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قالمة، 2016-2017،35.

فإلى جانب منصب القضاء ،تولى بعض الزهاد إلى جانب كونهم فقهاء منصب قيه مشاور، فقد كان إلى جانب الأمير عدد كبير من الشيوخ ذوي العلم الواسع والدين القويم يسمون فقهاء مشاورين الذي يشاورهم الأمير في كبار شؤونه الخاصة والدينية ومن بينهم أبو عثمان سعيد بن حسان السائغ (ت236ه) الذي قال فيه ابنه انه كان زاهد فاضلا فقيها في المسائل حافظا وقد تولى منصب فقيه مشاور ومنهم أيضا بن اسباط بن الحكم المخزومي كان من أهل الورع والعبادة تولى ولاية الفتيا بقرطبة.

إضافة إلى توليهم المناصب المهمة في الدولة، فقد كانت مشاركتهم في عمليات الفتح والجهاد أكر مشاركة في الجانب السياسي للدولة[1].

03: اقتصاديا اجتماعيا

إن الزهاد لم يكونوا بعيدي عما يدور في المجتمع، بل كان ما يضيب المجتمع يصيبهم وذلك ما بين أن الزهاد لم تكن حركتهم سلبية تقوم على الانعزال عن المجتمع وترك ما هو دنيوي بل كانت حركتهم ايجابية في الحياة ومؤثرة وفعالة في كثير من جوانبها[2].

فمن أمثلة مشاركتهم وتأثيرهم في المجال الاقتصادي والاجتماعي مساعدة المحتاجين في المحن والجوائح[3]، والضائقات الاقتصادية التي كانت تحل بالبد من فترة لأخرى.

1-مساعدة الفقراء والمحتاجين حيث عملوا على مساعدة المعوزين بما يحتاجونه وذلك من خلال التصدق ومنح القروض، فقد عرف العديد من الزهاد بالجود والكرم ومن أبرزهم في هذا السياق الإمام سحنون الذي باع في إحدى الأيام زيتونا ب800 دينار ثم اخذ يتصدق بذلك المال حتى

[1]- حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص، ص :46،59.

[2]- محمد بركات البثيلي، المرجع السابق، ص 98.

[3]- "مؤنث الجائح، جمع جوائح، المصيبة وهي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها "انظر، ابن منظور، المرجع السابق، ج1 ،ص 313.

نفذ كله[1]، وعبد الله بن أبي حسان البحصبي الذي أتاه احد أصحابه عقب تهدم بيته في القيروان فدفع له 30 دينار.

وعبد الله بن احمد بن طالب[2]الذي عرف بكثرة جوده حيث كان يقرض ويتصدق بالأموال الوفيرة ويغدق أحيانا على العشرات من الناس دفعة واحدة ،وعندا يضيق وضعه المالي في بعض الفترات يلجأ إلى التصدق بمصحفه وثيابه ولجام دابته[3]ومحمد بن عبدوس الذي قدم على أبي عبد الله ومحمد بن بسطام رجاء الضبي[4] السوسي (ت313هـ) في ليلة من ليالي الشتاء ولما سأله ابن بسام عن قدومه في هذا الوقت أعلمه أنه قد حرم من نومه بسبب شدة اغتمامه بفقراء المسلمين وأعطاه غلة ضيعته المقدرة بـ 800 دينار من الذهب وامره أن يتصدق بها، وأبو محمد بن أبي زيد القيرواني كان كثيرا ما يصل ويزود الفقراء وطلبة العلم بما يحتاجونه من مال وكسوة[5].

2-توجيه ميسوري الحال إلى المساعدة المادية ،ومن ذلك أن البهلول بن راشد لما قدم عليه رجل يدعى مغيث بن رباح واعلمه بأنه عازم على الحج سأله "أما كنت حججت" فأجابه بأنه حج، فاقترح عليه البهلول بأن يأتيه بالنقود التي أعدها للحج ليصرفها على الفقراء وأخذ البهلول يتصدق حتى نفذت.[6]

ولما ختن الأمير الاغلبي إبراهيم بن احمد أولاده مضى أهل العلم والمشايخ لتهنئة وكان منهم عبد الجبار بن خالد السرتي[7]فلما أتى الأمير ذكره بمقدار نعمة الأولاد وطلب منه ان

---

[1]- حفيظ كعوان، المرجع السابق ،ص 65.

[2]- "أبو العباس عبد الله بن أحمد طالب زاهدا في الدنيا، كريم الطبع، كثير السماحة وله أوصاف جليلة "انظر المالكي المصدر السابق، نفسه، ص 66.

[3]- حفيظ كعوان، نفسه، ص 66.

[4]- "من مدينة سوسة ويقال أيضا البصرة، توفي 313 هـ " انظر المالكي، نفسه، ج2 ،181.

[5]- نفسه، ج2، ص 101.

[6]- نفسه، ج1، ص 18.

[7]- أبو حفص عبد الجبار بن خالد السرتي، كان رجلا صالحا متعبدا كثير الدعاء، سمع من سحنون وعليه،اعتما"انظر نفسه، ص ص:462 ،471.

يستكمل هذه المسرة بالتصدق على الفقراء ،فلبى الأمير طلبه حيث قال :"صدقت وبررت " وأتاه بكيس فيه 500 دينار وأمره ان يفرقها على المحتاجين[1]

كما أسهموا في تحرير العبيد تماشيا مع تعاليم الإسلام من ذلك عبد الله بن طالب خرج إحدى الأيام إلى قصره فسقط سوطه فناوله إياه غلاما راعيا فاعتقه واشترى الغنم التي كان يرعاها ومنحها له ،هذا إلى جانب دعوتهم إلى الرفق بهم.[2]

وكان منهم من يساهم في إصلاح وبناء المساجد كأبو محمد عبد الرحمان عبد ربه، الزاهد المستجاب الذي سكن قصر زياد وهو الذي أشرف على بناءه وإصلاحه سنة 212هـ[3].

3-التكافل الاجتماعي: لقد برز التكافل هذه الطبقة خاصة خلال الأزمات التي تعرض لها المجتمع وهذا من خلال مواجهة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية ونظرا لعجز السلطة في بعض الأحيان في إيجاد حلول لجأ الأفراد لهم من اجل مساعدتهم في تدبير شؤونهم وبرز دورهم خاصة في أوقات القحط والجفاف والمجاعات فقد أعطتنا كتب المناقب والتراجم صورا واضحة عن دورهم في هذه الفترات وحسبنا في ذلك ما ذكره الغبريني عن الولي أبي الحسن الحوالي (ت637هـ) أنه عندما أصاب الناس الجفاف ببجاية دعا الله بأن يمطرهم فاستجاب وأمطرهم مطرا غزيرا[4].

وعندما أصب القيروان قحط فجاء قوم لشقوان وقالوا: ادع الله أن يسقينا ،فقد ترى ما فيه الناس من الجهد والغلاء فشد أزاره على وسطه ورفع يديه بالدعاء والتضرع إلى الله وبعدها أرعدت السماء أمطرا وكلما حدث الجفاف بسفاقس وغافق وأجدبوا ونزل بهم القحط فأتوا إلى

[1]- حفيظ كعوان، المرجع السابق، ج2، ص 46 .
[2]- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 166.
[3]- المالكي، نفسه، ج1، ص 464 .
[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص 320.

أبي خارجة عنبسة وكان مجاب الدعوة وطلبوا منه الدعاء لهم وصلى بهم صلاة الاستسقاء وصلى الظهر ودعا الله و لم يلبث قليلا حتى اندفعت السماء بالغيث[1].

4-صون الحياة الأسرية: يعد الزواج أساس الحياة الأسرية والعائلية فقد كان الزهاد وبجانبهم الفقهاء يشجعون عليه ماديا وذلك من خلال منع التكلف في وضع شروط الزواج ومساعدة المعوزين من أهل العروسين على تسديد نفقات الزواج ،وأمروا بأن لا يزوج المرء إلا على دينه وأمانته[2].

هذا وقد اخذ الزهاد والعلماء بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد حاربوا مختلف ظواهر الفساد وشتى أشكاله ،وقد لاحظنا بعض الزهاد مناصب القضاء والحسية هذا ما ساعدهم على تحقيق الأمن والعدالة داخل المجتمع إذ كانوا شديدي التحري للعدل وأحكامه ومن مظاهر التحري ان عبد الله بن عمرو بن غانم كان في فترة توليه القضاء اذا جلس في التشهد الأخير من صلاة الليل يدعوا أن يسدده ويصوبه في الأحكام التي يصدرها.

كما حافظوا وساهموا في تنظيم المدن والمحافظة على حرمات البيوت وكنتيجة لقرب المساكن من بعضها البعض في المدن قد عالج الزهاد والفقهاء من خلال التشريع الفقهي عدة قضايا تتعلق بهذا الجانب[3].

[1]- نبيل شريخي، دور علماء تلمسان في الحياة الاجتماعية والثقافية في المجتمع الزياني، مذكرة لنيل شهادة ماجستير :ش عبد الحق شبيلي: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 2011 -2012، ص 95.

[2]- حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 65.

[3]- نفسه، ص 67.

الفصل الثاني
الوعظ والنصيحة
في الغرب الإسلامي

المبحث الأول: نماذج من أهل الوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي.

المطلب 01ـ في المغرب الأدنى.

المطلب 02ـ المغرب الأقصى.

المطلب 03ـ في الأندلس.

المطلب 04ـ في المغرب الأوسط.

المبحث الثاني: مظاهر الوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي.

المطلب 01ـ الإصلاح الديني.

المطلب 02ـ الإصلاح السياسي.

المطلب 03ـ الإصلاح اقتصادي اجتماعي.

المبحث الثالث: الانعكاسات الوعظ والنصيحة على الغرب الإسلامي.

المطلب 01ـ ديني ثقافي.

المطلب 02ـ سياسي.

المطلب 03ـ اقتصادي اجتماعي.

المبحث الأول: نماذج من أهل الوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي

تحتفل كتب التراجم بإشارات عديدة لشلة من العلماء والفقهاء ندبوا أنفسهم لأجل القيام بالواجب، الديني،والاجتماعي والذي تمثل في الوعظ والنصيحة، وتطوعوا إلى تقديمه لنيل رضا الله تعالى واستكمالا لوظيفتهم الدينية والاجتماعية، حتى ببعض منهم غلب عليه صفة الواعظ لكثرة ووعظهم للناس والتزامهم به.[1]

01: المغرب الأدنى

لقد كان الكثير من الزهاد والفقهاء في بلاد المغرب جاه كبير هذا ما جعلهم يأثرون في العامة والخاصة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لهم أدوار في الإصلاحات السياسية والاقتصادية وحتى الدينية مشكلين بذلك نخبة المجتمع التي يحتذي بها.

زمن بين هؤلاء الشلة في المغرب الأدنى نجد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم الذين وطأوا إفريقية في الفتوحات الإسلامية والذين كان لهم دور كبير في الوعظ الناس وحثهم على الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام وحتى أصلحوا دينهم وقاموا على تعليمهم اللغة العربية ومبادئ الإسلام الصحيحة. ويمكن إعتبار هذه الفئة بداية ظهور نماذج من أهل الوعظ والنصيحة في المغرب الأدنى ظهرت بعدها شخصيات ندبت نفسها بأمر الناس بالمعروف ووعظهم وإصلاح دينهم لا يشغلون في ذلك إلا الله.

فما هو البهلول بن راشد قد عزم على وعظا المقاتل بن عكي وألح عليه في ذلك حتى أودي به ذلك إلى فقدان حياته.[2] فقد كان كثير الوعظ والنصيحة لذوي السلطان والإرشاد للرعية وطلبة بعضهم ويشرف على إصلاح أحوالهم الدينية والاجتماعية ، وكان عالما بصيرا بحكمة التشريع ووجوه الإصلاح الإجتماعي، وكان يؤمن بأن معاونة المحتاجين من أفضل العبادات للتقرب إلى الله

[1]- بن خيرة رقية، الآفات الإجتماعية في الأندلس مابين ق 5و 6 ، أطروحة لني شهادة دكتواره، تخصص تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة مصطفى إسطنبولي، معسكر، 2016- 2017، ص 301.

[2]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 298.

تعالى. منهم أيضا حفص بن عمرو الجزيري من جزيرة شريك الذي وعظ أبي العباس الله إبراهيم بن الأغلب وأمره بالتخفيف عن الناس وإسقاط الضرائب عن الرعية [1]أيضا مسافر بن سنان الذي كان من شدة وعظه ونصحه سمي بمسافر الواعظ، وقد كان رجلا صالحا يجتمع إليه للذكر والمواعظ، فانتفع به وعلى يده جماعة من الناس وكان البهلول ممن يسمعون عنه في مجالسه[2].

وأبو خالد عبد الخالق القتاب الذي سبق الإشارة إليه في وعظه للأمير الأغلبي[3] ومن بين الذين قاموا بإصلاحات شهد لها التاريخ،ن وقد غيرت وأثرت في تاريخ المنطقة الإمام سحنون الذي كان كثير الوعظ والنصح، وقد قام بكثير من الإصلاحات، مست مختلف مجالات الحياة في المغرب الأدن، فقد كان القاضي المحتسب، فلاما ولي القضاء صار ينظر في أمور الحسية، وهو أول قاض فعل ذلك[4] ، حيث كان ينظر في أمور الأسواق وما يحدث فيها ،ن أو يراقب الناس، ويحرضهم على الإختلاف الفاضلة والأدب العالي و يقوم بمساعدة الرعية والمحتاجين وطلبة العلم ماديا ومعنويا، فقد كان كثير الكرم والعطاء وهذه أمثلة من إصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية . أما عن الجانب الديني فقد كان موقفه من أهل البدع والأهواء كموقف علماء المغرب وفقهاءه المالكية، فقد كانت أساليبهم الإصلاحية في هذا الجانب تعتمد على المناظرات التي كانت من أهم الوسائل إنتهجها أهل الوعظ ضد أهل الفرق والمذاهب الخارجية، فقد قام بالعديد من المناظرات وأيضا قام بتأليف، ومن أهمها المدونة التي تعتبر أكبر مرجع في الفقه المالكي في الغرب بالإسلامي كما كان يلاحق أولئك الذين يفسدون على الناس دينهم وأخلاقهم من دعاء البدع و والضلالات، فقد كان يحرم على المعتزلة والخوارج عقد الحلقات في المساجد والأندية العامة للمنافسة والمناظرة حرصا منه على حماية عقيدة المجتمع.[5]

---

[1]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 320.

[2]- نفسه، ص 274.

[3]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 98.

[4]- سعدي أبو الحبيب، المرجع السابق، ص 65.

[5]- نفسه، ص 70.

كما كان يقوم بوعظ الحكام، فقد كان إذا وجد أمرا يمليه عليه الشرع والمصلحة يزور الأمراء ولا يخرج إلا بنصيحة تقرع أذن الأمير ومن حوله.[1]

ومن بينهم أيضا إبنه محمد بن سحنون[2] والذي يعد من رواد حركة الإصلاح في النظام التربوي ورسم معالمه بإفريقية في القرن 3 هجري وذلك من خلال أثره العام في المجال، حيث ترك رسالة، ذات بال في التربية والتعليم وهي " كتاب آداب المعلمين" وقد كان حريصا على نح الوزراء ولأمراء والعامة من الناس ، رغم الصعوبات والمحن لم يكترث إبن سحنون بسلطة الأمراء وهيبتهم وسعى إلى إصلاح العلاقة بالنصح والوعظ والإرشاد والصبر على الأذى[3]

ومنهم أيضا نجد أبا العمران أفاسي الذي يعتبر رجل إصلاح وسياسة وتدبير إلى كونه رجل علم ودين، ثم إنه ثار على الأوضاع السائد في اس وطنه الأصلي وبسبب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر أخرجه عامل مغراوة[4] على قاس فإستقر بالقيروان إلى أن توفي بها 430، كما كان له كبير الأثر في التصدي للمذهب الشيعي وقد أثرت جهود العلماء المالكين في القيروان إلى الفقهاء على المذهب الشيعي في المغرب وإنسلاخ الصنهاجين من الشيعة الفاطمية [5].

والمعز بن باديس الذي أدى أكبر دور في نصرة الإسلام والمذهب المالكي ويعتبر أكبر إصلاح ديني، حيث كان المعز على الإسلام والدين فقطع عقيدة المستنصر بالع العبيدي، وخلع طاعته وذلك 440هـ، وقد تدرج في عدائه للإسماعيلية وحكام مصر وظهر ذلك في 435هـ عندما وسع قاعدة أهل السنة في جيشه وحاشيته وديوانه ودولته وبدأ بحملات التطهير للمعتقدات الكفرية، كما قضى على كل المذاهب المخالفة لأهل السنة من الصفرية والمعتزلة والإباضية ويشهد

---

[1]- سعدي أبو الحبيب، المرجع السابق، ص 71.

[2]- " أبو الله محمد سحنون عبد السلام بن سعيد التنوفي القيرواني، شيخ المالكية، وفقيه المغرب ولد 202ه عاصره أمواء أغالبية " أنظر، الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص 219.

[3]- محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، التاريخ الساسي، تمك المنجي الصياد، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1995، 48.

[4] -" قنبيلة بربري زناتية، كانت لها دولة ف المغرب الأقصى (ق 4- 5) عامتها فاس" أنظرن إبن أبي زرع المصدر السابق، ص 102.

[5]- محمد محمود عبد الله بن بيه، المرجع السابق، ص 109.

التاريخ أن للمعز الفضل في القضاء على عقائد الباطنية والإسماعيلية[1] في بلاد المغرب [2] وغيرهم من الفقهاء والوعظاء الذين كان لهم جميل الأثر في مختلف جوانب السن والثقافة وحتى الإقتصادي.

02: المغرب الأقصى.

يحفل المغرب الأقصى بوجود مجموعة من الوعاظ وأهل النصيحة والإصلاح على طول فترات تاريخه في العصر الوسيط ولعل من أبرزهم.

إدريس بن عبد الله[3]فبعد الفتوحات الإسلامية واستقرار الإسلام في المغرب الإسلامي، وظهر خطر الخوارج الوافدين على هذه الديار من الشرق يتحسسون بقعة لترويج دعايتهم فأثروا في المنطقة فتنا كبيرة، غير أنها لم تدم طويلا بفضل جهود إدريس الأول الذي التفت حوله القبائل ودخلت في طاعته 172 هـــ وكون أول دولة مستقلة في المغرب الأقصى، وواصل الجهد وقضى على حركات الخوارج، فقد كانت هذه المحاولات أثر طيب في نشر الإسلام واستعراب المغاربة وطبعة بالطابع الإسلامي.[4]

أيضا عبد الله بن ياسين الجزولي والذي يعتبر من أكبر النماذج التي تعرف في مجال الوعظ والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن رجال الإصلاح الديني والسياسي وقد سبقت الإشارة لأهم الأعمال التي قام بها في المجال الديني والإجتماعي.[5]

---

[1]- "الإسماعيلة الباطنية فرقة تشب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق والباطنية لزعمهم أن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة بواطن خفية وأسرار تخالف الظاهر "ن أنظر، سلمان النفزي islam house.com/ar/articles 58,390,28,10,2017.

[2]- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 54.

[3]- إدريس بن عبد الله الكامل بن حسين المثنى بن الحسن السيط بن الإمام علي كرم الله وجه، أمه عائشة بنت عبد المالك المخزومي، وقد افلت من وقعة فخ وفر إلى مصر ثم إفريقية إلى طنجة"، أنظر، الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص 219.

[4]- عبد المغيث مصطفى، الفقيه عبد الواحد بن عاشر وآثاره الفقهية، المملكة المغربية، 2007، ص 28.

[5]- محمد محمود عبد الله بن بيه، المرجع السابق، ص 98.

وبعده أبو بكر اللمتوني وقد كان رجلا صالحا وورعا قام بمجموعة من الإصلاحات أهمها سياسته في إنشاء دولة المرابطين والقضاء على البرغواطيين نهائيا وإصلاح دينهم والجهاد في السودان الغربي من أجل نشر الإسلام والوعظ

والنصيحة أيضا يوسف بن تاشفين والذي كان له دور كبير في إنشاء الدولة المرابطية والحفاظ على الإسلام في الأندلس ودفع النصارى عنه[1] .

ومنهم أيضا القاضي عياض (الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، إشتهر في العلوم وجمع وألف وسارت بتصانيفه الركبان وإشتهر إسمه في الأفاق) [2]

وقد ولي القضاء في ثلاثة أماكن، سبتة وغرناطة في عهد المرابطين ثم في قرية داي ببادية تادلة في عهد الموحدين، [3]فسار به في العدل ودعم أركان الحق لا تأخذه في الله لا ثم يقيم الحدود المظلوم ويأخذ على يد الظالم مهما كان جانبه ومنصبه.

وإصلاحات إجتماعية من خلالها ترجم علمه إلى عمل من خلال مساعدة المحتاجين وحبه للمساكين والسؤال عن أحوالهم والصدقة لهم وإقامة العدل في القضاء وهو من أعظم أسباب صلاح المجتمع ومن إنجازاته في خدمة المجتمع بناءه للزيادة الغربية في جامع سبته وبناءه الرابطة المشهورة في جبل الميناء[4]ومنهم أيضا أبو العباس السبتي وقد سبقت الإشارة إليه وماله من إصلاحات إجتماعية فقد كان كثير الصدقة والعطاء على المحتاجين وطلبة العلم.[5]

[1]- محمد محمود عبد الله بن بيه، المرجع السابق ، ص 102.

[2]- الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص 109.

[3]- الحسين بن محمد شواط، القاضي عياض، دار القلم، ط1، 1999، ص 184.

[4]- نفسه، ص 190.

[5]- إبن الزيات، المصدر السابق، ص 460.

03: الأندلس

تذكر لنا المصادر مجموعة من الوعظاء في الأندلس والذي نجد من بينهم أبو الوليد الباجي وهو الإمام الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعدون وارث التجيبي التميمي الأندلسي، القرطبي الباجي، ولد 403 مسقط رأسه بطليوس ثم رحل إلى باجة ثم إنتقل إلى قرطبة لتلقي العلم على عدد من العلماء من بينهم إبن الرحوي(ت 420) وأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت 437) وغيرهم، وحل إلى المشرق وإلتقى بكبار علمائها ثم عاد إلى الأندلس من تلامذته أبو بكر الطرطوشي (ت 520) وإبن عبد البر القرطبي النمري(ت 463) توفي 474[1] .

وقد كانت له مجموعة من الإصلاحات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي لإصلاح أمور الحكام ومن أشهر الدعاة إلى الوحدة الذي جال الأندلس طول وعرضا داعيا إلى وحدة الصفوف ونبذ الفرقة والتحذير من عواقبها وداعيا إلى جهاد النصارى بالأندلس[2] ومنهم أيضا إبن عبد القرصي النمري [3] هو الأخر نهج الإصلاح السلطاني عن طريق إبداء النصح والوعظ وإتخذ ذلك من خلال الفصل الذي خصه للسياسة الشرعية تحت عنوان (باب السلطان) ويبدو أن عبد البر سعي في هذا الفصل إلى توضيح أسس هذه السياسة وما تركز عليه من قواعد أخلاقية وسلوكية كالعدل وزهد الحاكم فيما عنده من الملك و أخلاقيات التعامل مع الرعية. [4]

أن سعي ابن عبد البر للاصطلاح السياسي قد انبثق من وحي الواقع الذي أضحت في الأندلس تعاني الفرقة والتزاع على الطوائف ، وابتعادهم عن النهج الشرعي في التدبير السياسي اتجاه الرعية وتجاه بعضهم ، علاوة على انه كانت له العديد من الدعوات الإصلاحية التي تشهد عصر دوره

---

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 112.

[2]- عمر راجع شبلي، المرجع السابق، ص 119.

[3]- جمال الدين يوسف بن عبد الله محمد إن عبد البر بن عاصم النمري القرضي ولد 368، تنقل بين مدن الأندلس حتى استقر بشاطبة، ساهم عن طريق دروسه وفتاويه ومجالسه في تقديم النصح توفي 463، أنظر، الذهبي المصدر السابق، ج2، ص 320.

[4] - بن خيرة رقية ،المرجع السابق،ص 286 .

الريادي في هذا المجال ومنهم ابن حزم [1] الظاهري[2] الذي نشأ في رفاهية وقد كان والده من كبار أهل قرطبة عمل الوزراء في الدولة العامرية، ولد بقرطبة 389 من شيوخه أحمد بن سعيد القرطبي 40 ومسعود بن سليمان الشنتريني (ت 716) وغيرهم، ومن تلامذته الحميدي 49 صاحب كتابي جذوة المقتبس، وعمرين خلف بن حيان (ت474) وغيرهم، توفي بلبلة 456، ويعد الفقيه إبن حزم من أوائل الفقهاء الذين سعوا إلى إبداء النصح والوعظ السياسي الموجه لملوك الطوائف.[3]

ومن أبرزهم أيضا أبو البكر محمد الطرطوشي،[4] المعروف بإبن رندقة أحد كبار أئمة المالكية خلال القرن 5 – 6ه والذي كلن من أهل الزهد والورع مبتعد عن أهل الأهواء مقاطعا للمبتدعة رحل في طلب العلم إلى المشرق وقد كان كثير النصح والإرشاد للناس والملوك، وقد أوردت المصادر العديد من الرسائل التي كان يبعث بها للملوك مقدما فيها النصح، وقد كانت له إصلاحات وآراء سياسية وقد ألف في هذا كتابه (سراج الملوك)[5] والذي يعتبر رسالة إلى الحكام في كيفية تسيير الملك بما يعود بالصلاح على البلاد والعباد[6]

---

[1]- أبو محمد علي بن سعيد بن حزم بن غالب بن معدان الفارسي الأصل ثم الأندلس ثم القرطبي " انظر ، ابن شيكول المصدر السابق ،ج2،ص114

[2] - الظاهرية : مذهب فقهي نشأ في بغداد في منتصف القرن 3 ه، أمامهم داوودبن علي الظاهري ، ثم تزعمهم الإمام علي بن الحزم الأندلسي ،تنادي المدرسة بالتمسك بالقران والسنة وإجماع الصحابة ونفي كل ما عدا ذلك من الأمور التي تعتبرها ظنية كالراي والقياس والمصلح المرسلة " انظر ، عبد الباقي ، ابن الحزم الظاهري وأثره في المجتمع، دار الثقافة العربية ، ص 13.

[3]- عمى راجح شلبي، المرجع السابق، ص 56.

[4]- " ولد 468 تتلمذ على يد والده ونشأ نشأة علمية رحل إلى المشرق وأخذ عن علمائها، دخل تونس 494، ثم نزل تلمسان وفاس" أنظر، إبن فرحون، المصدر السابق، ج3،ص 219.

[5]- أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك، تح: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، ،1944، ص 9.

[6]- عبد الكريم بن إبراهيم الحسين، أبو بكر العربي، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير، في العلوم الإسلامية، دش محمد زين الهادي، كلية الدعوة والإعلام، جامعة محمد بن سعود، ص 25.

ومنهم أيضا أبو بكر بن العربي [1] الذي توجه إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وهو من سلمه المراسيم السلطانية بتقليده أمير المسلمين وجعله نائبا عن الخليفة العباسي في أقطار المغرب، وقد تمثلت ممارسة الإصلاحية وجيشه في الغرب الإسلامي في محاربة للبدع والمنكرات، وتوليد القضاء، وجهاده في سبيل الله وبناءه سور وجلوسه للتعليم ونظرية في الشرعية والتعليم، وهذا ما يؤكد أن الحسية عند القاضي أبي بكر مبدأ هام نشأ عليه وسايره في مختلف مراحله[2]

ومن النماذج أيضا نجد إبن رشيد الجد[3] والحفيد[4] فلقد كان إبن رشد الجد يحض الناس على الجهاد والغزو بالجامع قرطبة، وكانت له مساع متميز في الحفاظ على الوفاق بين أهل الأندلس والمرابطين للوقوف في وجه النصارى، كما عاقب بعض النصارى المتآمرين على المسلمين بالأندلس الذين اتصلوا بالممالك النصرانية المجاورة، كما يعزل الأمير تميم بن يوسف (ت 520) عن القيادة بعدما ظهر من سوء قيادته العسكرية التي أدت إلى تسهيل توغل أمير المسلمين بإعادة تحصينات المدن الأندلسية الكبرى وبناء سور مراكش وتحصينها، واستجاب له الأمير علي بن ناشفين سنة 520 هـ [5].

ومن نماذج أيضا نجد محمد الأنصاري الشارقي نسبة إلى الشارقة من بلنسية الذي رحل إلى المشرق للدراسة فسمع من كبار شيوخها، ثم عاد إلى الأندلس، وتوفي شرقي الأندلس نحو(500)هـ وقد عرف بكثرة وعظه وهو من الوعاظ الذين كان لهم شأن كبير في النصح والإرشاد وبالمثل كان إدريس بن يحي بن يوسف أبو المعالي الواعظ (ت 531) ه يتجول في البلاد للوعظ والتذكير فينتفع الناس به.[6]

---

[1]- الذهبي، المصدر السابق، ج12، ص 307.

[2]- القاضي عياض،المصدر السابق، ج3، ص 112.

[3]- محمد بركات البيلي، المرج السابق، ص 130.

[4]- فاطمة الزهراء جدو، المرجع السابق، ص 120.

[5]- إبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 154.

[6]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 125.

أيضا منهم أبي زمنين الزاهد المتبتل الذي له تآليف في الوعظ والوعظ والزهد وأخبار الصالحين، وهناك واعظ قرطبة الشهير عبد الرحمان بن عبد الله بن يوسف الأموي المعروف بإبن عفيف (ت 521) الذي تذكر المصادر أنه كان يعظ الناس في مسجده وكانت العامة تعظمه.[1] وعلي بن حسين بن محمد (ت 578) هـــ الذي إشتهر بالأمر المعروف والنهي عن المنكر والوعظ في المساجد إضافة إلى عليم بن عبد العزيز (ت 564) هـــ الذي إتخذ من الوعظ منهجا لحياته فنفع الله بصحبته خلقا كثيرا.[2]

وعلي بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن خلف ،(ت564) ه زاهد رافضا للدنيا واعظا ناصحا ونفع الله بصحبته خلقا كثيرا محتسبا في تغيير المنكر، ويحي بن عبد الرحمان بن عبد المنعم بن عبد الله القيسي (ت 608)ه منقبضا عن رؤساء الدنيا، إنتحل الوعظ والتذكير وإستمر زمنا في ذلك.[3]

04: المغرب الأوسط:

من بنهم الصحابي الجليل عقبة بن نافع رضي الله عنه إلى جانب كونه من أهل الزهد في الدين فهو يعتبر من أـــهل الإصلاح فقد قام بالفتوحات الإسلامية التي ساعدت على نشر الإسلام وتعاليمه فيس منطقة الغرب الإسلامي في المغرب والأندلس.

كذلك مثل اتجاه الوعظ والتذكير مجموعة من الوعاظ والزهاد اعتمدوا طريقة الوعظ كطريقة للزهد في الدنيا والدعوة إلى حب الله والتفكير في يوم الآخرة ومنهم في المغرب الأوسط، أبو محمد عبد الحق الأشبيلي (ت 584) السابق الذكر، كذلك عبد الرحمان بن عبد الله بن خلق كان رافضا للدنيا صالحا فاضلا وناصحا.[4]

---

[1]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص130

[2]- فاطمة الزهراء جدوا، المرجع السابق، ص 120.

[3]- نفسه، ص 123.

[4]- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 81.

ومن أمثلة ذلك أبي مدين شعيب الذي كان يشدد الحرص على النصح والوعظ وخصوصا بعد عودته من رحلته في المشرق حيث إستقر في بجاية وعاش هناك أغلب فترات حياته وكثر إتباعه وشاع إسمه وأقام بمسجد بجاية وظل يمارس الوعظ والإرشاد في جامع البلدة ومدرستها حتى بلغ 80 من عمره وعرف بكل بلاد الغرب الإسلامي[1]، ومن أبرزهم في المغرب الأوسط عبد الرحمان الثعالبي ومن إصلاحاته السياسية التحريض على الجهاد والوقوف في وجه العدو ودعوة الناس إلى التسلح ضدهم وذكر فضل الشهادة والشهداء ويورد الأحاديث في ذلك.[2]

وكانت من إصلاحاته الإجتماعية تقديم العون للآخرين والسعي لقضاء حوائجهم وإغاثة ملهوفهم وكذلك بعثرة المسلمين والدفاع عنهم حيث يقول" ولا شك في فلاح من سعى في مصالح المؤمنين وقد جاء الوعيد فيمن خذلهم وترك نصرهم.

كذلك كف الأذى عن المسلمين فنجده يقول:" ينبغي للمؤمن الخائف من الله تعالى أن يعامل الناس بما يجب أن يعامل هو به، فلا يذكر هم إلا بخير وليكف لسانه عن ذكر مساوئهم ما أمكن"[3] ومنهم أيضا الشيخ عبد الكريم المغيلي التلمساني[4] من أبرز شيوخه عبد الرحمان الثعالبي (ت 875) ومحمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (ث 875).

كان المغيلي ساخطا على الوضع القائم بتلمسان من جور الحكام ومفاسد اليهود و سكون العلماء عن تغيير المنكر فاتجه إلى ثوات ونزل تمنطيط 882 هو إستقر بها مدرسا وفقيها فوجدها أكثر سوءا جراء سيطرة اليهود وتحكمهم في النشاط الإقتصادي وإنشغال الحكام فحمل لواء

---

[1]- التليدي، المرجع السابق، ص 48.

[2]- بوراس حفيظة، الشيخ عبد الرحمان الثعالبي وجهوده في خدمة السنة النبوية الشريفة، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم الإسلامية، كتاب وسنة، كلية العلوم الإ'سلامية، جامعة الجزائر، 2009، 2010، ص 45.

[3]- عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: أبو محمد الغماري الإدريسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج3، ط1، 1996، ص 214.

[4]- " عبد الكريم المغيلي التلمساني خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة المحقق، القدوية الصالح ، أحد أذكياء العالم وأفراده العلماء الذين أتو بسيطة في العلم، من كبار علماء القرن 9 هجري ولد 820 ه بمغيلة ودرس ونشـــأ بتلمسان" ، أنظر، إبن مريم، الشبان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن ابي شنب، ديوان المطبوعات الجانعية، الجزائر، 1986، ص 253.

محاربيهم والقضاء عليهم وعلى كنائسهم،ثم إرتحل إلى السودان الغربي ليأخذ على عاتقه مسؤولية الوعظ والإصلاح للعقيدة الإسلامية والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر.[1]

ويعتبر الإمام المغيلي من أبرز علماء المغرب الأوسط في الصنف الثاني من اللقرن8ه وهو من الفقهاء ذوي الرؤية الثقافية والحكمة الصائبة الذين كانت لهم مشاركة في تفعيل الحياة السياسية والثقافية بتوات الأمر والسودان الغربي، وله شهرة في الدعوة إلى الله ورسوله وكان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[2]

[1]- حاج أحمد نور الدين، المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها الملوك والأمراء والعلماء، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الشريعة الإسلامية، دعوة وإعلام، إش: مولود سعادة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، 2010-2011، ص 59.

[2]- مقدم مبروك، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقية الغربية خلال القرن 8-9-10 ، دار الغرب للنشر والتوزيع، ج1، ط1، 2002، ص 49.

المبحث الثاني: مظاهر الوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي .

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [1]

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [2]

إن قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة على قدر كبير من الأهمية لأن مقصدها الإنساني هو الارتقاء بأفراد المجتمع إلى الإسلام وإبطال كل ما يناقض ذلك من عوائد ومستحدثات، وقد تجسدت هذه القاعدة في الغرب الإسلامي بدعوات الإصلاح في مختلف ميادينه الديني والسياسي والاجتماعي، والتي يعتبر من أهم المظاهر التي تجسد لنا ظهور الوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي.[3]

وقد مس هذا الإصلاح مختلف جوانب حياة المجتمع باعتباره أصل شرعي من أصول الإسلام يقوم على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو يقتضي ذلك أن يكون في المجتمع أناس يقومون على إصلاح أموره في شؤون الدنيا والدين، بحيث تكفل هذه القاعدة التقدم الدائم والمستمر للمجتمع الإنساني مع تغيير الظروف وتجدد المصالح،فيكون القصد من ذلك تحقيق الإصلاح الديني والخلفي والاجتماعي.

[1]- القرآن الكريم، التوبة،71.

[2]- القرآن الكريم، النحل، 125.

[3]- بن خيرة رقية، المرجع السابق، ص 261.

01: الإصلاح الديني الثقافي:

يعتبر الإصلاح الديني التغيير في الحياة الإنسانية في كل ميادينها الإجتماعية والإقتصادية والثقافية بالقضاء على الفساد الذي يحل بها، كما أن روح المجتمع هي القاعدة الأولى لبناء الأمة والفرد وهي القاعدة الأولى لبناء الشخصية إنطلاقا من الإهتمام بالناحية الدينية ويهتم بإعادة النظر في المفهوم الإجتماعي للدين بتنقيته مما لحق به من تشوهات وتحريفات ليتمكن من تحقيق وظائفه الإجتماعية وأبعاده الدنيوية.[1]

وقد ساهم تدخل الفقهاء وفق معيار ديني بتنظيم الحياة الإجتماعية في قيامهم بدور فعال في العملية الاصلاحية تبعا لما يقضيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد مثلت هذه النخبة العالمة التي أنيط بها القيام بهذا المبدأ دون غيرهم من أرباب المعرف المتنوعة بحكم تكوينهم الديني وخبرتهم المجتمعية حسب مذاهب إليه الفقيه إبن حزم: " وهذا ماتوجه إليه العلماء بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنه لا يجوز أن يدعوا إلى الخير إلا من علمه و لا يمكن أن يأمر بالمعروف إلا من عرفه".[2]

وقد ساهم تدخلهم هذا في بلورة خطاب إصلاحي عبروا من خلاله عن ذلك الترابط الموجود بين الديني والإجتماعي وهذا ما يؤكد عليه أبن رشد الحفيد:" إن القول الديني خطاب موجه إلى الناس كافة لان هدفه تقويم السلوك".[3]

فقد أسهموا في إدخال الإسلام إلى المناطق التي لم تعرفه من قبل وقبلها أسهموا في تقريب . منطقة المغرب الإسلامي ونشر الإسلام والعربية فيه كما سبق الإشارة إلى دور عقبة بن نافع وحتى طارق بن زياد في كما هو الحال بالنسبة إلى بعثة الفقهاء العشرة وغيرها من أدوار الفقهاء والفاتحين، كذلك دور عبد الله بن ياسين ورباطه الذي إتجه إلى تصحيح العقيدة ونبذ العادات الفاسدة، وتعليم القرآن وشرائع الإسلام و لم تفقيه في الدين، وقد أخذ على عاتقه الأمور بالمعروف

[1]- محمد عبد الله دواز، الدين، دار القلم، ص 311.
[2]- بن خيرة رقية، المرجع السابق، ص 269.
[3]- نفسه، ص271.

والنهي عن المنكر بعدما ما كان الناس في جهل مطبق حيث يقول القاضي عياض : " كان الدين عندهم قليلا وأكثرهم جاهلية ليس عند أكثرهم غير الشاهدتين ولا يعرف من وظائف الإسلام سواهما" [1]

ودور أبو بكر اللمتوني في القضاء على برغواطة وغيرها من الإصلاحات الدينية في نشر الإسلام مثل الدور الذي أداه الإمام المغيلي في الأمر بالمعروف والإصلاح الدين ونشروا الإسلام والقضاء على اليهود فيس توات ونشر الإسلام في السودان الغربي.[2]

إضافة إلى مساعدتهم في نشر الإسلام أو الدفاع عنه، فقد أدى الوعاظ دور كبير في تحريض العامة على الجهاد ، لما لهم من نفوذ ديني واسع لهذا كانوا يرغبون الناس في الجهاد عن طريق إظهار الناس ويحرضونهم على الصبر، وكان الحكام يطلبون من الفقهاء ذلك الزلاقة وإستشهد فيها ، كذلك مروان عبد الملك المصمودي قاضي مراكش، ومنها مشاركة أبو بكر بن الغربي في العديد من الغزوات التي خاضها أمراء اشبيلية مع الصليبين وكان يجمع بين الجهاد والعلم، وغيرهم من الوعظ كما ساهموا في الحفاظ على الإسلام والدفاع عنه عن طريق محاربة أهل البدع و الضلالة وأمثلتهم كثيرة كالبهلول بن راشد والامام سحنون وإبنه محمد بن سحنون من خلال مناظراتهم فقد كان بن سحنون يناظر في علم الكلام والفقه مع المعتزلة ومن خلال المؤلفات حيث وضع كتابا ردا على القدرية ومن بين كتبه للرد على أهل الفرق والبدع " الرد على أهل البدع "[3]

ومن جوانب الإصلاح الديني، عمد الوعاظ والفقهاء إلى تدريس التعاليم الدينية التعريف بالدين الصحيح إلى محاولة نقله وترجمته إلى سلوك عام يشمل الجوانب الروحية والإجتماعية والثقافية والأهم من ذلك أنهم سعوا أن يمثلوا قدوة يحتذي بها في السلوك الديني، وليس غريبا أن

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج3،ص320.

[2]- سالمي زينب، الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 8-10، مذكرة لنيا شهادة ماجستير، في الغرب الإسلامي إش: بودواية مبحوث، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تلمسان 2011-2012، ص 47.

[3]- المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 340.

تحدثنا كتب التراجم عن فقهاء عرفوا بتورعهم وتبتلهم بالزهد في حين نزع المجتمع إلى المادية التي غيرت في العديد من قيمه الروحية مقدمين في ذلك نماذج يحتذي بها.[1]

وسعوا جاهدين إلى التغيير من السلوكات المذمومة ومظاهر الفساد التي عالجها الوعاظ في هذا المجال ومن أبرزها محاربة البدع، حيث كانت تسود مجتمع الغرب الإسلامي في بعض الفترات أفكار البدع والشعوذة، وقد وردت في كتب المناقب محاربة البدع وتجند أهل الوعظ والنصيحة لذلك.[2]

وهاهو الإمام المغيلي يتشدد في تغيير المناكر والخرافات التي قد يراها البعض سهلة ولا تؤثر في تكوين المجتمع، لكنها في الحقيقة تؤدي بالانسان إلى الكفر ولهذا نجده لا يتساهل مع أصحابها" ومن اكبر المنكرات السحرة والكهنة ومن يدعون علم الغيب فهؤلاء تجب محاربتهم والوقوف ضدهم" أما من يزعم أنه يعلم علم الغيب شيء من تلك الأمور أو غيرها فهو كاذب ومن صدقه فقد كفر"[3]

وقد ترجم الفقهاء والوعاظ هذا الإلتزام الديني إلى واقع عملي إتخذ في الغالب الأعم طابع المجالس الوعظية التي كانوا يجتمعون فيها بالناس قصد تدليلهم على عمل الخير والمعروف وتنبيههم إلى المواطن الخلل وكيفية تجنبها لصالح دينهم ودنياهم، ومن الراجع أن هذه المجالس كانت تعد في المجالس وفي الأماكن العامة، ما يجلب لهم قدرا كبيرا من السامعين والظاهر أن هذه المجالس قد جاء ندا لمجالس اللهو والمنادمة التي كنت تنشر في بعض الأحيان في المجتمع آنذاك.[4]

وقد غدت الكتب ومؤلفات الزهد والرقائق والوعظ وسيلة تعليمية وعظيمة عملت على مراعاة الجانب الأخلاقي في المجتمع وتقويم انحرافه على المستويين المعرفي والسلوكي[5].

---

[1]- بن خيرة رقية، المرجع السابق، ص 290.

[2]- حفيظة كعوان ، المرجع السابق، ص 59.

[3]- حاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، ص 47.

[4]- بن خيرة رقية، نفسه، ص 340.

[5]- نفسه، ص 342.

02: الإصلاح السياسي.

إن الإصلاح بوصفه مطلبا شرعيا قائما على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسع من دائرة التكاليف بالإسلام لدى الفقهاء لا عن وجوب القيام بالدعوة إلى الدين وصيانته بل والقيام بالحسبة على السلطة والرعية وتقديم النصح لهما لكون هاما لإصلاح المجتمع.[1]

وقد كان لتقلب الأحوال السياسية و اضطرابها بعض الأحيان في بلاد الغرب الإسلامي أو حتى لسياسة بعض الأحكام كبير الأثر في وجود دعوات إصلاحية كان لابد لها إن تنطلق أولا من إصلاح سلوك الحاكم لارتباطه بصلاح المجتمع أو فساده و بوصفه قدوة لرعيته ، إذا لابد أن ينطلق الإصلاح أولا من القمة باتجاه القاعدة ذلك إن منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فإذا أصلحت الروح من الكدر انتظم الجسد و اذا تكدرت تعطل نظام الجسد[2]

ومن مظاهر الإصلاح السياسي نجد وعظا الحكام وتقديم سلوكهم إتجاه العامة والمجتمع من طرف الفقهاء والوعاظ والزهاد المتصوف فنجد منهم من تقلد مناصب في الدولة ساعدته على تقديم النصح والوعظ للأمراء والحكام وذوي السلطان، فنجد منهم مثلا الفقهاء المشاورون إذا يتضح لنا أن أهل القرن الإسلامي إهتموا بالفتيا اهتماما شديدا لما صاحبها من النظر في المصالح المسلمين وتنظيم حياتهم والتي تحتاج إلى إصدار فتاوى لمعرفة حكم الله فيها وإعتمدوا في ذلك على الكتب الفقهية المعلومة والصحيحة فيقول المقري:" باب الفتوى باب إحتياط فلا بد للمفتي من مباشرة الكتب المروية والأمهات الأصلية ولا ينبغي له الإقتصار على الواسطة، إذ لا يأمن من خلل أو تصحيف لفقد ملكة التأليف" [3]

---

[1]- بن خيرة رقية، المرجع السابق، ص 320.

[2] - نفسه، ص 279.

[3]- المقري، نفح الطيب من عضن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3، ص 209.

ولقد إشتهر الفقهاء المفتون عل وجه العموم بإخلاص وعدم التلاعب كأن يفتي للعامة بالتشدد وللخواص بالتخفيض وما فتوى يحي بن يحي للامير عبد الرحمان بن الحكم بصيام شهرين متتابعين إلا دليل على عدم خشية هؤلاء الفقهاء في الحق لومة لائم.[1]

ومن أمثلة النصح للحاكم موعظة ابن سحنون الى احد أمراء بني الأغلب يوصيه فيها بتقوى الله والعمل للاخرة، وقد كتب إليه رسالة جمع فيها بالترغيب والترهيب وحثه على ترك التمسك بالدنيا والإقبال على الآخرة كأنه ينصح أحدا من أقاربه، فذكره الموت والمعاد وإصلاح مابينه وبين العباد.[2]

هكذا طمع الفقهاء بأن يصيروا موجهين لضمائر الأمراء، وبحق تولوا الفتيا ونصح الأمراء وإستطاعوا أن يحكموا الصغير والكبير.[3]

كما وجه ابن حيان نقده للأمراء الذين ظلوا عن الطريق الصحيح ومالوا إلى التزاع والفرقة ويتجلى العلماء وجهودهم فكان من الطبيعي إن يحظى العلماء بموقع نؤثر ونفوذ متسع وقد أضحى العلماء أهم مستشاري أمراء المرابطين إذا كان هؤلاء حريصين على الإستشارة في كل أمورهم وجعلوا ذلك المبدأ أحد أهم مرتكزاتهم في الحكم وقد كانوا يستشارون في الأمور إبتداء من ولاية العهد وإنتهاء بأمور كبناءن الأسوار والحصون.[4]

ولم تكن إستشارة أهل الرأي من كبار الفقهاء مقصورة على الأمير المرابطي بل كان نائباه في المغرب والأندلس ملزمين بالاستشارة في كل ما يأتيان.[5]

ومن أمثلة الإصلاح السياسي تبيان طريقة الحكم الصحيحة، فقد كان الإمام المغيلي في خطيه ودروسه في السودان الغربي يوضح للحكام الطريقة الإصلاحية في الحكم ويضع لهم القواعد التي

---

[1] - محمد محمود عبد الله بن بيه، المرجع السابق، ص 85.

[2] - محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 65.

[3] - نفسه، ص 72.

[4] - محمد محمود عبد الله بن بيه، نفسه، ص 86.

[5] - بن خيرة رقية، المرجع السابق، ص328.

يجب السير عليها في نظام الحكم وقرر لهم الكثير من الأحكام وأعطى لهم الدواء في محاربة الفساد والطغيان والحل للأمراض الإجتماعية المنتشرة وطرف التغلب عليها، من خلال رسالة للأسقيا[1] محمد (الأسكيا) " أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي"[2]وهو بذلك يعد مصلحا سياسيا في هذه المنطقة، وقد أعطى المغيلي في رسائله إلى أمراء السودان بيانا شافيا وتصورا واضحا للمفاهيم الإسلامية التي يجب أن يتبعها الحكام والمحكومون، وهذا يدل على أن موقف المغيلي من سلاطين عصره هو موقف الناقد والناصح المرشد المصلح[3]

وقد كان المغيلي مستشارا لحاكم كانوا [4] في السودان الغربي وولاه القضاء والإفتاء وكتب له رسائل منها رسالة يحضها فيها على إتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي والإفتاء وكتب له رسائل منها رسالة يحضها فيها على إتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من بلاد السودان الغربي فقد غادر من كانوا إل كشنة ومنها السنغاي وقد قام بنفس الدور في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومنهم أيضا القاضي عياض فالشورى والإفتاء والخطابة كانت نماذج عطاء عياض وخدمته لامته ودينه، فقد أجلس للشورى لما تقدم من وجاهته لدى المرابطين وعنايتهم بأمره وكان من مقدمي المفتيين بسبة، وقد عاصر عياض السلطتين قام بواجب الإصلاح السياسي الذي يميله عليه دينه ومن أمثلة للثانية وفي ظل السلطتين قام بواجب الإصلاح السياسي الذي يمليه عليه دينه ومن

[1] - الأسقيا محمد الأول سراكولي الأصل، كان احد ضباط جيش الأمير سني علي سنة 1493، قام الاسكيا محمد بثورة ضد نسمي علي واستولى على سنغاي، قيد بذلك عهد الاسقين الذي استمر حتى 1591 م"، انظر: حاج احمد نور الدين المرجع السابق، ص 61.

[2] - " توجد منها نسخة بخزانة أحفاد المغلي، ونسخة بالمكتبة الوطنية بالحامة وهي عبارة عن أجوبة لسبع مسائل في السياسة الشرعية وعلاقة الراعي بالرعية، مقدم مبروك، المرجع السابق، ص 59.

[3] - حاج أحمد نور الدين ، نفسه، ص 113.

[4] - الحسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص 102.

أمثلة ذلك ما قام به أثناء توليه قضاء غرناطة من التضييق على العمال تاشفين بن علي وصدهم عن الباطل وإيقافهم عن الظلم أما في الدولة الموحدية[1].

ويذكر إبن خلدون حين وصلت جيوش الموحدين سنة 543ه مدينة سبتة:" وإشتهر القاضي عياض الشهير الذكر كان رئيسا يومئذ بدينه ومنصبه ، ولذلك سخطته الدولة آخر الأيام حتى مات مغربا عن سبتة"[2]

ومن مظاهر الإصلاح السياسي أثر العلماء في قيام الدول وقد سبق التطرق إلى قيام دولة المرابطين كمثال حول ذلك.

أيضا الحث على الجهاد ومحاربة الأعداء، ومن ذلك ما قام به الوعاظ في الأندلس بدأت دعوتهم إلى التوحد بعد أن تبين عجز ملوك الطوائف عن حماية المسلمين والتصدي للنصارى فذلك أبو محمد بن عبد البر النمري،[3]كان يحض على الجهاد ويدعوا إلى لم شمل الأمة وكان من أشهر الدعاة إلى الوحدة أبو الوليد الباجي الذي جال بلاد الأندلس طولا وعرضا داعيا إلى وحدة الصفوف ومحذرا من عواقب الفرقة والنزاع وذلك بعد عودته من المشرق وقد أشار المقري:" ولما قدم من المشرق إلى الأندلس بعد 13 عام وجد ملكة الطوائف أحزابا متفرقة فمشى بينهم في الصلح" [4]

ولاشك أن ماقام به الفقهاء من جهد للحث على الوحدة و لم الشمل كان له أثره في إستجابة بعض ملوك الطوائف لدفع الخطر المحدق بهم، فلم يستطع الملوك صم أذانهم عن النداءات المتكررة من الفقهاء والعامة التي طالبهم برص الصفوف والإستنجاد بالمرابطين وتوحيد كلمة المسلمين كما يعد الفقيه إبن حزم من أوائل الفقهاء الذين سعوا ألى إبداء النصح والوعظ السياسي الموجه لملوك الطوائف أولئك الذين طعن في شرعية حكمهم واصفا إياهم بالمحاربين لله تعالى وبأنهم

[1] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 93.

[2] - إبن بشكوال، المصدر السابق، ص 149.

[3] - المقري، المصدر السابق، ص 320.

[4] - عمر راجح شلبي، المرجع السابق، ص 114.

ساعين في الأرض فسادا وهو إن كان لا يرى ضرورة الخروج عن طاعتهم لكنه يرى انه من الواجب تقديم النصح والوعظ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا وجد لذلك سبيلا.

كما ألفوا في مجال السياسة فما هو الحضرمي [1] ألف كتابه " الإشارة في تدبير الإمارة" والذي أهداه ليوسف بن تاشفين مسيرا فيه إلى جملة من التدابير السياسية المهمة التي تعينه في توطيد أركان دولته التي كانت بحاجة [2] إلى الضوابط وأحكام تدبيرية لا سيما بعدما رامت أطرافها بين العدوتين المغربية والأندلسية.

أيضا الطرطوشي في مجال السياسة الشرعية" كتاب سراج الملوك" والذي يعينه على تبين الطريق الواجب إتباعه على الحاكم والسلطان في سبيل تسيير ملكه.[3]

[1] - النعمان بن عبد الله، بن النعمان الحضرمي ، كان صالحا زاهدا كثير الصدقة بتصديق بعطائه كله" انظر، الحسني، بغية المتلمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: ابراهيم الابياري، دار الكتب المصرية،ط1، ح2، 1989، ص 338.

[2] - بن خيرة رقية، المرجع السابق، ص 114

[3] - نفسه، ص 303.

03: الإصلاح الإقتصادي الإجتماعي

إن من المظاهر التي تجسد ظهور الوعظ والنصيحة في المجتمع الغرب الإسلامي وجود ذلك الإصلاح الإجتماعي الذي أخذه على عاتقهم الوعاظ والفقهاء وغيرهم بالآمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر والتي تعتبر من أجل المبادئ التي جاء بها الإسلام وأروعها لان فيها صلاح الفرد وصلاح المجتمع، وتلك هي الحسبة [1]في الشرع الإسلامي، وهي في الأصل وظيفة كل مسلم على حسب حاله.

أما عن الحسبة في الغرب الإسلامي فترجع إستقرار أغلب الوظائف الدينية منها القضاء والحسين وولاية المظالم التي ألى حيث كانت دولة بني الأغلب تمثل الخلافة العباسية ولاة إفريقية بتغير المنكر ولما تولي سحنون القضاء بها باشر شؤون القضاء والحسبة، ويظهر أن نظام الحسبة عرف تطورا كبيرا بعد عصر سحنون حيث نجد أن الفاطمين لم يهملوه غير أنهم وجهوه بما يخدم الإتجاه الإسماعيلي ويحارب المذاهب الأخرى، أما في عهد المرابطين فنجد أن عبد الله بن ياسين قد بدأ نشاطه في صنهاجة بالتعليم والإرشاد وواصل مهمته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[2]
كما نجد أيضا في عهد الموحدين أن إبن ثومرت مارس وظيفة المحتسب خلال رحلة العودة إلى المغرب الأقصى وحتى استقرار بقاس[3]

أما في الأندلس، فتعود جذورها إلى عصر الإمارة حيث كانوا يطلقون على المحتسب صاحب السوق، وهذا ما تؤكده بعض كتب التراجم وأصبحت لها قوانين يتدارسونها[4] على الرغم من أن الأندلس شهدت أنظمة وتغيرات سياسية مختلفة إلا أن الحسبة بقيت في إزدهارها وإتسعت

---

[1]- " وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا لها" انظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ص 205.

[2] - موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب الغربي، الشركة الأصلية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971، ص 45.

[3]- نفسه، ص 50.

[4]- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: عصر المرابطين والموحدين، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط1، 1980، ص 177.

مهام المحتسب، ومما لا شك فيه أن نظام الحسبة في الأندلس لم يكن مغايرا لنظام الحسية في المغرب والمشرق، حيث مارسوها على أنها نظام شرعي مستمد من الكتاب والسنة.[1]

ويعتبر نظام الحسبة هو حجر الأساس في الحياة الإقتصادية في المدينة والقوى المحيطة بها فهو الذي كان يضمن الإنسجام بين الطاقات المختلفة التي تدور في محورها شتى الأنشطة الإقتصادية في تفتيش السلع المغشوشة و مراقبة المكاييل والموازيين والإشراف على تسعير المواد الأساسية ويضمن بذلك نوعا من الإستقرار وكان المحتسب هو الفيصل الذي يرجع إليه الحكم في النزعات بين التجار وأرباب الحرف.[2]

كما كان العلماء والوعاظ يحرضون الناس على الأخلاق الفاضلة والأدب العالي ويحثونهم على فعل الخير والمعروف بل كان المحتسب في بعض الأحيان يراقب مظهرهم ويؤدب على سوء الحال في اللباس والهيئة، حتى يكون المجتمع جميل المنظر.[3]

وقد كان سحنون يأمر بتغيير ما كان يراه منكرا في عصره من ضرب المتخاصمين إذ تبادل كلاما جارحا وتأديب الناس على الحلف بغير الله وعلى رثة اللباس ونظر في أنواع المعائش، ويمكن تلخيص منهج سحنون في تغيير المناكر من خلال رسالة التي رد فيها على أبي محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الربيعي حين أنكر عليه توليه القضاء وما نصه : " أما بعد فإنه جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت وإنني أجيبك أنه لا حول ولا قوة في شيئ من الأمور إلا بالله تعالى عليه توكلت وإليه أنيب فأما ما كتبت أنك عاهدتني وشأن نفسي علي مهم أعلم الخير وأؤدب عليه وأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أؤدبهم على دنياهم فالعمري أنه من لم تصلح له دنياه فسدت له آخراه وفي صلاح الدنيا، إذا صح المطعم والمشرب صلح الآخرة فكلى الأمرين متصل بالآخرة أودبهم في

[1]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 50.

[2]- نفسه ، ص 19.

[3]- سعدي أبو حبيب، المرجع السابق، ص 52.

معايشهم ودفع ظلمهم عن مظلومهم وأخذهم الأمور من وجوهها آدابا لآخرتهم لأن بصلاح دنياهم تصلح لهم آخرتهم وبفساد الدنيا تفسد لهم الآخرة "[1].

ومما قام به الواعظفي الجانب الإجتماعي محاربة الآفات الإجتماعية كشرب الخمر والزنا والسرقة وغيرها من الآفات وتجندوا لذلك و لم يكتفوا بذلك بل تعدوه إلى إصلاح العلاقات الأسرية وحرصوا على الإصلاح بين الناس وتبيان الحق بفتاويهم وإشتغالهم كمدرسيين ومربيين وقد أوردت لنا المصادر مجموعة كبيرة يضرب فيها المثال في هذا المجال فحينما سادت هذه الآفات في المجتمع كان الفقيه محمد يوسف السنوسي " ت 895" الذي بذل جهودا لإصلاح العلاقات بين افراد المجتمع وكان يقوم بالإصلاح بين الخصوم.[2]

كذلك نجد مثلا علماء قد نشأت بينهم وبين مجتمعهم علاقات وصلات أخذت صورا وأشكالا مختلفة بحكم منزلتهم العلمية وتقدير المجتمع للعلم وأهله إضافة إلى الأعمال الإجتماعية التي قاموا بها والمناصب التي تقلدوها حيث كانوا يرشدونهم ويعلموهم، فهذا القاضي عياض لما كان قاضيا كان يقيمه على أكمل وجه وهذا ما سبب صلاح المجتمع، فقد كان يحكم ويعدل ويمنع الظلم من أن يسود في المجتمع [3]

ولما كان الإصلاح الإجتماعي مسؤولية وأمانة مناطة بعنق كل مسلم وتتأكد في حق العلماء والأمراء، فقد كان القاضي عياض يترجم كل علمه إلى عمل ، فقد كان يحرض على طلب العلم ويسهل الطريق لذلك ويذلل أمامهم الصعوبات العملية ويعادهم في بذل الأسباب المادية المعنوية [4]

[1]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 4، 57.

[2] - حس علي حسن، المرجع السابق، ص 180.

[3]- الحسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص 69.

[4]- نفسه، ص 71.

ولقد قام الوعاظ بتوعية المجتمع وحرصوا على التغيير من التصرفات والأخلاق الغير اللائقة، حيث نجد الإمام المغيلي يحارب المناكر التي كانت منتشرت في بلاد السودان الغربي ومن بينها بيع الإماء دون مراعاة الإستبراء [1].

وإعتبر هذا الأمر من الزنى وبه تختلط الأنساب فلا بد من التشديد فيه وعدم ترك العامة يفعلون ذلك . [2]

كما وقد دعا الوعاظ والمصلحيين الحكام ونصحوهم حول قضية العبيد ووجوب محاربة هذه الظاهرة ومحاولة التخفيف منها من خلال الصدقات والزكاة والتكافل الإجتماعي والزكاة والمساعدات المالية التي كانوا يقدمونها للمحتاجين والفقراء، وقد سبقت الإشارة لشلة من الفقهاء والزهاد قدموا خير أمثلة في مجال التكافل الإجتماعي .

[1]- لغة طلب البراءة يقال الشبرأ إذا طلب آخره لقطع الشبهة عنه ومن ذلك إشبراء الجارية أو المرأة بترك وطئها حتى تحيض ومعناه طلب برائتها من الحمل " أنظر ، إبن منظور ، المرجع السابق، ج 1، ص 33.

[2]- حاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، ص 63.

المبحث الثالث: إنعكاسات الوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي.

01: دينيا ثقافيا.

من النتائج المهمة في هذا المجال ما بذله الوعاظ والفقهاء في القضاء على مختلف البدع والقضاء على مخالفي الإسلام كالقضاء على برغواطة ونصرت الإسلام والمذهب المالكي من خلال مقاطعة المذهب الشيعي ومحاربته ومحاربة المذاهب الأخرى كالخوارج، ونشر الإسلام والسعي إلى تحقيق مبادئه في مختلف المناطق التي لم يدخلها الإسلام وخاصة في السودان الغربي وأرسلوا تعاليم الدين الحنيف في تلك المنطقة ومجتمعاتها.

كما كانت للمجالس التي كان يعقدها الوعاظ جميل الأثر في نفوس السامعين فمن خلالها يتم تذكيرهم بربهم ودينهم ودفعهم إلى الزهد في الدنيا ودفعهم إلى التوبة مما كسبوه من ذنوب، كما كانت هذه المجالس فرصة سائحة للترغيب في التحلي بمكارم الأخلاق خاصة قيم الحياء والفقه والخشية لا سيما وأن هؤلاء الوعاظ قد خبروا الحياة ووقفوا على أسباب الإنحراف وإنهيار المجتمع المتمثلة في الإبتعاد عن القيم والمبادئ في ظل أجواء مضطربة وقلق مستمر إزاء ما يحدث من فتن وإضطرابات في بعض الفترات؟، فانصبت مواعظهم في قالب التحلي بالأخلاق والحذر من الوقوع في المعاصي [1] .

كذلك من أمثلة ذلك ما قام به الإمام المغيلي بإخضاع المعارف الإسلامية في السودان للنقاش والأخذ والعطاء وتوسيع دائرة النقاش العلمي، بحيث أصبح يشمل مناطق لم تكن العلوم الدينية قد وصلتها على الشكل المنهجي، وقام بدور عظيم في السودان، فقد ترك أثرا إسلاميا بارزا في جمع المماليك الإسلامية في بلاد السودان الغربي [2].

ومن بين الإنعكاسات الثقافية مؤلفات الفقهاء والوعاظ والتي من خلال تصفحها يتم إدراك حقيقة موضوعاتها الدينية والإجتماعية وهي بذلك تزود المهتمين بهذا المجال بالنصوص الدينية التي يرتكز

[1]- بن خيرة رقية ، المرجع السابق، ص 313.

[2]- مقدم مبروك، المرجع السابق، ص 53.

عليها الوعظ والإرشاد [1]، والتي من شأنها إصلاح الجانب الروحي لحياة الإنسان والحفاظ على شخصيته وقيمه .

- ولقد سبقت الإشارة إلى نازلة يهود توات وما صاحبها من معارضة من قبل بعض الفقهاء، الأمر الذي أدى إلى ظهور مناظرات بين مختلف الفقهاء، هذه المناظرات كان لها دور في إثراء النشاط العلمي بالمنطقة وقد خلقت هذه النوازل جوا علميا حيث إعتمد المغيلي فيها على كتب الفقه والأصول والقواعد والمقاصد واللغة والمنطق، قألقت بظلالها على ربوع المنطقة التوات وأثرت في الحركة العلمية بإعتبار أن الفتاوى التي صدرت بحقها ظلت مرجعا ومنارة علمية يعود إليها العلماء والطلبة في التعلم والتعليم، وقد ساهمت في تطهير توات وتمنطيط نهائيا من اليهود.[2]

02: سياسيا

من النتائج السياسية المهمة ما قد أسهم فيه الفقهاء في الحياة السياسية للمغرب والأندلس إذ ذللوا الصعاب أمام يوسف بن تاشفين بفتاويهم لإسقاط ملوك الطوائف، بأن رفعوا ضرورة الإستنجاد بالمرابطيين في العدوة الأندلسية وإنقناع الأمراء بهذا الرأي وفي العدوة المغربية بإقناع أمير المسلمين بضرورة نصرة أهل الأندلس وأن ذلك واجب عليه[3].

وقد إستفتى إبن تاشفين في العدوتين في شأن هؤلاء الأمراء وقد أفتاه العلماء بضرورة خلعهم وإزاحتهم، وقد أيد فتواهم علماء آخرون منهم الإما الغزالي، ولقد أدت هذه الفتاوى إلى ترجيح كفت التدخل المرابطي في الأندلس.

وقد أسفرت تلك الجهود إلى جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس 479هـ وقد إلتقى الجيش المرابطي والمسيحي في الزلاقة شمال بطليوس، وقد دامت المعركة يوما واحدا انتصر فيه المرابطون إنتصارا عظيما ، وإعتبرت هذه المعركة من معارك المسلمين الكبرى والمفاخر العظمى للمرابطين

[1]- بوراس حفيظة، المرجع السابق، ص79.

[2]- سالمي زينب ، المرجع السابق، ص 105.

[3]- محمد محمود بن عبد الله بن بيه، المرجع السابق، ص 120.

حيث يقول في ذلك القاضي إبن الغزالي: " ولو لم يكن للمرابطين فضيلة ولا تقدم ولا وسيلة إلا وقعة الزلاقة ...، لكان ذلك من أعظم فخرهم" [1].

وقد قام العلماء بدور بارز بتوحيد العدوتين الأندلسية والمغربية وكانت آراءهم وفتاويهم العامل المهم لتحقيق هذه الوحدة التي أرادوا لها ان تكون وسيلة لحفظ ما تبقى من الإسلام في الأندلس ، بمدافعة النصارى وقد كان لهم الجهد الكبير في هذه المعركة والدور الحاسم إبتداءا من التهيئة ثم بالمشاركة الفعلية حيث بدلوا جهدهم في وعظ المسلمين وحثهم على الصبر والثبات وترغيبهم فيما عند الله من أجر وتحذيرهم من الفشل في المعركة [2].

كما كان للمغيلي تأثير كبير على الجانب السياسي والإجتماعي في إفريقيا الغربية فهو يعتبر من أوائل من دفع العلماء والحكام في السودان عامة وفي كانو خاصة إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والسلاطين، ووجه الحكام للعمل بها لطبع المجتمع بطابع إسلامي صحيح[3]

ويظهر جليا أن الإمام المغيلي إتخذ جانب الصرامة في وجهة نظره بالمقابل أن الأمير أسقيا كان يقبل النصح والتواضع مع العلماء وقد وجه له كما سبقت الإشارة النصح والوعظ وعالج أمور الفساد التي كان يطبقها الحاكم من تطبيق الضرائب والغرامات اللاشرعية [4] .

03 :اقتصادي اجتماعي.

كان من النتائج الاقتصادية لمجال الوعظ و النصيحة تنوع الفروع الحسية وظهور محاولات التأليف عن السمسرة وعن أداب المعلمين والقضاة و الوكلاء وفي أحكام السوق وفي التعزيزات والحدود وكانت كلها في إيطار المصادر الشرعية وكتب الفروع المالكية كمؤلف عبد الرءوف الأندلسي " رسالة في الحسية " وأيضا "رسالة في الحسبة "

---

[1]- محمد محمود بن عبد الله بن بيه، المرجع السابق، ص 140.

[2]- نفسه ، ص 138.

[3]- مقدم ميروك، المرجع السابق، ص 75.

[4]- حاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، ص 89.

لإبن عبدون وهي إحدى وشين صفحة وتتألف من أمرين أحدهما يتعلق بالقضاء والثاني بالحسية وكتاب يحي بن عمرو أبو زكريا في أحكام السوق [1].

وكنتيجة لهذا إزدانت الأسواق والتي كانت تقام بالمدن بأصحاب المهن والحرف والخرازيين والعطارين والنخاسين ... ولا سيما أسواق المدن الكبرى كمدينة القيروان والتي نالت عناية من قبل الأمير يزيد بن حاتم (155-171) حيث قام بترتيب الأسواق وجعل كل صناعة في مكانها المخصص [2].

كما أن الحركة التجارية شهدت إنتعاشا ملحوظا في ظل الإستقرار النسبي الذي ساد إفريقيا وبلغت أوّج إزدهارها أيام الأغالبة والفاطمين والصنهاجين ونشطت بها حركة الإسترداد والتصدير [3].

وقد إجتمعت في الوعاظ والفقهاء مؤهلات وعوامل موضوعية بمقدمتها المناصب التي تولوها مكنتهم من تبوء منزلة متميزة في مجتمع الغرب الإسلامي الأمر الذي ألقى بظلاله بشكل مباشر على قوة تأثيرهم الإجتماعي حيث تمكنوا بفضل ذلك من القيام بأدوار هامة تركت آثارا إيجابية في المجتمع [4].

ومن العوامل التي ساعدتهم أيضا تنامي حركة التأليف الفقهي لديهم ذلك أن المألفات الفقهية تضمنت الضوابط والأحكام التي تضبط شؤون المجتمع الأمر الذي سهل على تكييف الحياة الإجتماعية على ضوء ما ورد فيها [5].

فعلى سبيل المثال إشتهر أبن سحنون بكثرة تأليفه الفقهي في عصره كمحاولة منه في إصلاح الحياة الإجتماعية وقد شمل إصلاحه جوانب الإصلاح الأسري والعلاقات الأسرية بفتاويه

---

[1] - إبن عبدون، رسالة في الحسبة، نشر ليفي بروفنال، المحلية الآسيوية، أبريل 1934، ص 03.

[2] - بن خيرة رقية، المرجع السابق، ص 325.

[3] - الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقيا والمغرب ، تح ، المنجي الكعبي، نشر : رفيق السقطي، تونس ، 1968، ص 111.

[4] -يحي بن عمر، النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس ، ص 133.

[5] - بن خيرة رقية، نفسه ، ص 311.

ومحاربة الآفات ورد المظالم وكذلك حرصه على تثقيف مجتمعه، وقد إشتغل الفقهاء والوعاظ كمدرسيين ومربيين لكافة الفآت المجتمع وجاءت عنايتهمن الدينية والفكرية عن رغبة إصلاح ذات البين ومحاربة الآفات الإجتماعية وما يدل كتابه آداب المعلمين إلا على كثرة المعلميين وإهتمام الفقهاء بتعليم مبادئ الإسلام للصغار ويروي إبن سحنون حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " يريد من خلاله نصح وإرشاد الأولياء على تحفيظ أبناءهم القرآن [1].

وقد أسهم الوعاظ في تثمين العلاقات الأسرية والعائلية وضبطها وأيضا تقنين الحياة العامة، بما يتماشى مع تعاليم الإسلام وجعلها أكثر إستقرار وذلك من خلال محاربة الآفات الإجتماعية والإسهام في الإنتعاش في الحياة الإقتصادية بمعالجة الأحكام المتعلقة بها ومحاربة كل ما يؤثر عليها سلبا كالمعاملات التجارية التي تضر بمصالح الإنسان كالربى والغش، وهذا ماعاد بالرخاء والرفه على أفراد المجتمع وساهم في تحقيق الإستقرار ويبدوا أنهم حققوا نتائج هامة في هذا المجال بمراعاتهم لأعراف وعادات أهل المنطقة خلال إصدارهم للأحكام الفقهية، حيث وقفوا في كثير من المسائل والقضايا بين الأعراف السائدة والأحكام النظرية الفقهية، إلا أنه يبدوا أن تأثيراتهم في الحياة الاجتماعية تركزت بشكل كبير بالمدن وذلك لكثافة وجودهم بها [2]. ولعله من العوامل الأساسية أيضا التبي مكنتهم من التأثير كما سبق الذكر تبوؤهم لبعض المناصب وخاصة القضاء وكياستهم طبيعة الشروط التي ألزموا بها الحكام بقبولها مقابل توليهم لها والتي مكنتهم من مزاولة مهامهم بحرية وساعدهم كثيرا على الوقوف حتى في وجه ذوي النفوذ ودفع المظالم التي طالت بعض أفراد المجتمع وفئاته على أن أهم تأثير لهم في هذا المجال هو إسهامه في تثبيت وحدة المجتمع من خلال بث روح التآلف بين أبنائه فقد ضربوا أروع الأمثلة في التكافل الإجتماعي و لم يقصروا في هذا المجال[3].

[1]- محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 76.

[2]- حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 79.

[3]- يحي بن عمر، المصدر السابق، ص 66.

وقد حرصوا على إصلاح العلاقات الأسرية، يذكر المؤرخ إبن صعد (ت 901) أنه كثيرا ما وصل الله أرحاما كانت مقطوعة وأصلح على يد الشيخ أحمد بن الحسن الغماري (ت 874) أحوالا عظيمة [1].

لقد إجتمعت لدى أهل الزهد والرقائق والوعظ مؤهلات وعوامل موضوعية مكنتهم من تبوء مكانة متميزة في المجتمع، الذي أدى بشكل مباشر إلى قوة تأثيرهم الإجتماعي، حيث تمكنوا من القيام بأدوار مهمة تركت آثار إيجابية بما يتماشى مع تعاليم الإسلام وجعلها أكثر إستقرار وتماشي مع الأعراف السائدة في الغرب الإسلامي .

[1]- أبن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مر: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 203.

خاتمة

الخاتمة:

من خلال انجاز هذا البحث والذي عني بدراسة **تاريخ الزهد والرقائق والوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي** بينت الدراسة ما يلي:

- العلاقة بين الزهد والرقائق والوعظ والنصيحة.
- أن نزعة الزهد تعود أصولها إلى حياة النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره قدوة يحتذى بها في الابتعاد عن ملذات الحياة والزهادة في الأشياء التي تؤدي اليها.
- يعتبر عصر النبوة هو المولد الحقيقي للزهد غير أن لقب الزاهد لم يطلق على القوم في تلك الفترة إلا بعد ظهور الإقبال على الدنيا حيث ظهر تيار مناوئ للتيار المنغمس في الدنيا وملذاتها.
- كان انتشار النزعة الزهدية في الغرب الإسلامي كنتيجة لامتداد هذه الظاهرة في المشرق الإسلامي على الرغم من ظهور إرهاصاتها منذ الفتوحات الإسلامية ف المغرب مع الفاتحين والتابعين.
- لقد ازداد عدد الزهاد في القرون الهجرية الأولى مما أدى إلى تأثير هذه الطبقة في الطبقة في تنشيط الحياة الاجتماعية والثقافية للمغرب الإسلامي.
- هذه التأثيرات كانت من أهم مظاهر الزهد كالاهتمام بتدريس العلوم الدينية، والرابطة والدفاع عن الإسلام والرغبة والابتعاد عن الدنيا وهجرها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- لقد ظهرت في بلاد الغرب الإسلامي مؤسسات كانت ملجأ للتعبد فيها ولتعليم الناس كما كانت عامل مهم في النشر الزهد بين الناس كالمساجد والرباطات والكتاب والزوايا.
- إن ظهور أهل الزهد والرقائق في كل دول المغرب الإسلامي أدت إلى مساهمة هذه الفئات في الحياة الدنية والاقتصادية والسياسية.

- نجد منهم في المغرب الأدنى البهلول ابن راشد والإمام سحنون، وفي المغرب الأقصى وجاج بن زلوا للمطي وعبد الله بن ياسين الجازولي، وفي الأندلس نعمان بن عبد الله الحضرمي وبقي ابن مخلد وغيرهم، أما في المغرب الأوسط نجد وهب بن منية وعبد الحق الاشبيلي وأبي مدين شعيب وغيرهم.

أما عن أهل الوعظ والنصيحة فنجد منهم في المغرب الأدنى محمد بن سحنون أبي عمران الفاسي وغيرهم، وأما في الأقصى نجد أبو بكر اللمتوني والقاضي عياض وغيرهم، أما في الأوسط نجد عبد الكريم المغيلي وعبد الرحمن الثعالبي، وغيرهم.

وقد ساهمت هذه الفئة كسابقتها من طبقة الزهاد في عمليه الإصلاح الديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي في المغرب الإسلامي.

أدت هذه الإصلاحات من طرف الوعاظ والنصائح الى جملة من التأثيرات والانعكاسات على المجتمع المغرب الإسلامي في مختلف مجالاته.

- ان التأثير الديني كنشر الإسلام ومحاربة البدع والمنكرات والحفاظ على تعاليم الإسلام.
- والاقتصاد انطلاقا من الحسبة على الأسواق وعلى مختلف المعائش والتكافل الاجتماعي.
- والسياسي بتأثير مناصب المفتيين ونصح الحكام وتقويم سلوكهم والمشاركة في الجهاد.
- يظهر مدى مساهمة هؤلاء النخبة من العلماء والفقهاء في تاريخ هذه المنطقة والمجتمعات.

الملحق رقم (01): خريطة بلاد المغرب الإسلامي[1]

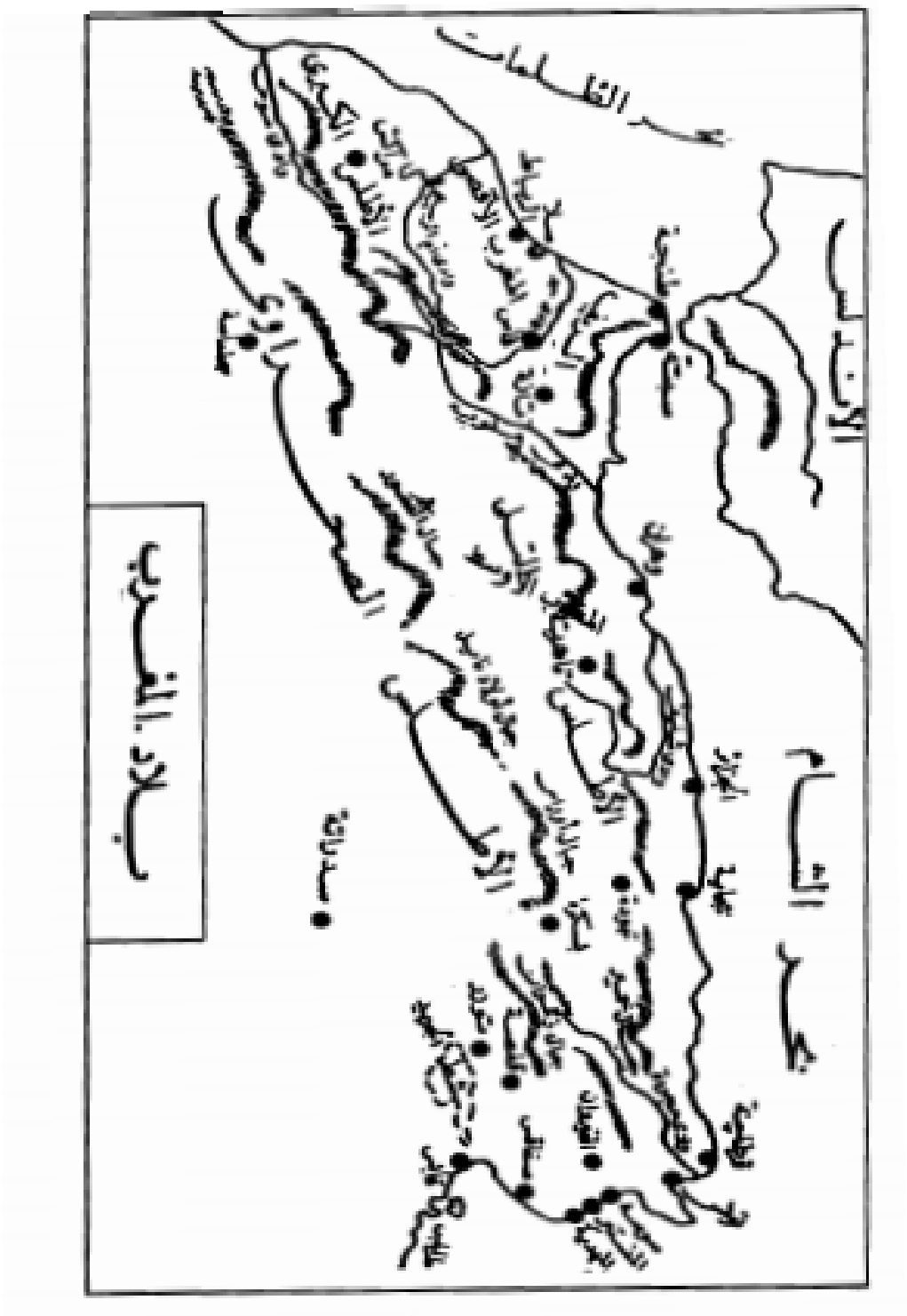

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 507.

الملحق رقم (02): خريطة بلاد الأندلس[1]

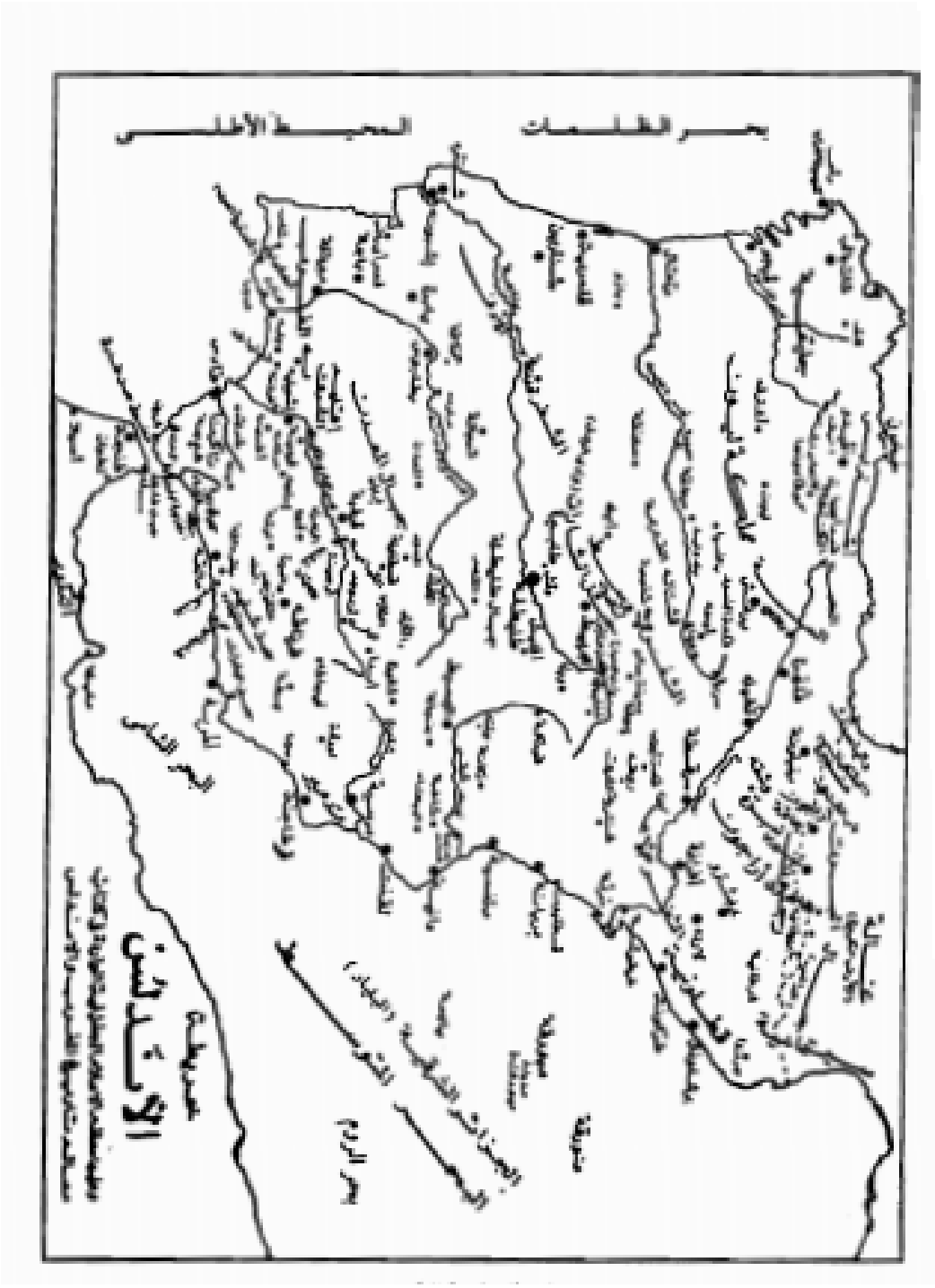

[1] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 509.

الملحق رقم (03): واجهة كتاب رسائل ابن أبي الدنيا[1]

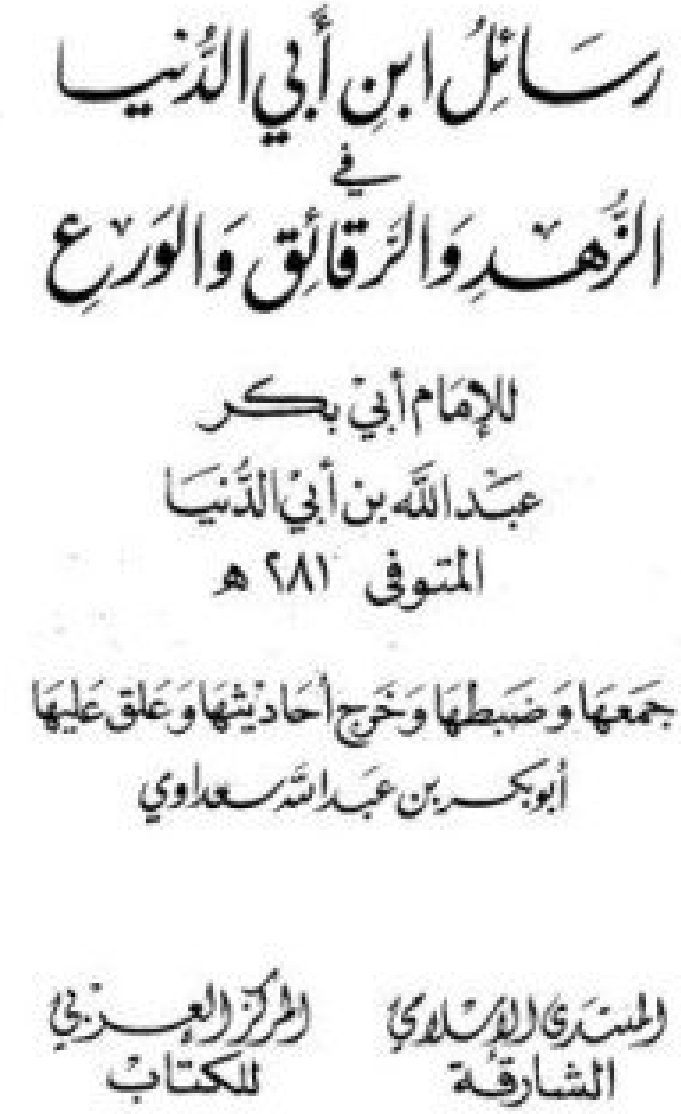
رسائل ابن أبي الدنيا
في
الزهد والرقائق والورع

للإمام أبي بكر
عبد الله بن أبي الدنيا
المتوفى ٢٨١ هـ

جمعها وضبطها وخرج أحاديثها وعلق عليها
أبو بكر بن عبد الله سعداوي

المسند الإسلامي
الشارقة

المركز العربي
للكتاب

[1] انظر عبد الله بن أبي الدنيا، رسائل ابن أبي الدنيا في الزهد والوعظ والرقائق، واجهة الكتابة.

الملحق رقم (04): رسالة رباح بن يزيد إلى عبد الله بن فروخ[1]

وكتب إلى عبد الله بن فروخ :

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من رباح بن يزيد إلى عبد الله بن فروخ. سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وإياه نعبد ونستعين. أسأله شكرًا لأنعمه وعملا يرضاه.

جاءني كتابك فقرأته وفهمت الذي ذكرت فيه، آجرك الله فيما دللت عليه من خير، فإن الله عز وجل يقول : ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا﴾[٥٧]. جعلنا الله تعالى وإياك ممن استوجب ذلك الأجر العظيم بيسير من العمل، وتغمد منا ومنك ما لا يغفره إلا هو، إنه لا يغفر الذنوب إلا هو وحده لا شريك له. أوصيك بتقوى الله الذي لا يشغله شيء عن شيء، الذي ابتدأ خلق ما نرى على غير مثال كان قبل ذلك. فإنك في زمان قد ماتت فيه قلوب خلق كثير وهم لا يشعرون. فاتخذ اخا مصافيًا في اموره ومداخله ومخارجه، فإذا وجدت ما تحب فأوجب له ما يجب من الأخوة في الله عز وجل وإلا انقبِضْ في رفق[٥٨] ونصيحة. فإن كثيرًا من أهل زمانك يحبون رضى الأشرار ورضى الأخيار [فيا .....][٥٩] وحسن الثناء على الأشرار، حتى يخيل إلى من يسمعه أن القطْع إليه برأيه وعمله وهواه. فأما الأشرار فيثنى عليهم بالشرف والفضل لغنم[٦٠] ما في أيديهم مما لو كانت الكلاب تحاسب ثم عرفته لم تطعمه، ولم تدن منه، إلا أن يشاء الله ربنا، وسع ربنا كل شيء علمًا. وانظر إلى من يسكن إليه عقلك وتعرف البركة في مجالسته، وإن قل أولئك — وحق لهم القلة لكرامتهم على الله عز وجل أعجل خروجهم من الدنيا إلى [دار][٦١] كرامتهم — لأنه لا يبقى في آخر الزمان إلا الذين هم الأشرار كما قال عليه السلام[٦٢] : «حثالة كحثالة التمر»، فارض بالوحشة واسأل الله عز وجل أن يسلمك يومًا[٦٣] بيوم حتى يلحقك بمن لا غنى بك عن صحبته ومرافقته، وما التوفيق إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. فقد أدركتَ زمانًا أميتت فيه السنة

[1] المالكي المصدر السابق، ج1، ص 308.

وما التوفيق إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب . فقد أدركتَ زمانًا أميتت فيه السنة وأظهرت فيه البدعة ، وعز فيه أشرار كثير[٦٤] من هذه الأمة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون مما تلقى من أهل زمانك . كأن الذي خُوِّفوه لا يقع بهم ، أوكأن الذي حل بغيرهم لا يرونه . وقد قال الله عز وجل : ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾[٦٥] ، وعُهِدتْ بلادنا بالحصار والقتل والفساد ، وقال الله تعالى : ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ، أو يأخذهم في تقلبهم فما هم

بمعجزين ، أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾[٦٦] . أسأل الله العظيم الرؤوف الرحيم أن يلحقنا وإياك بالصالحين . لا تزال تصلنا بكتاب فيه بعض ما ينفع اللهُ عز وجل به من الحكم التي ليس يعدلها كثير من عرض الدنيا ، فإن عبد الله بن عمرو بن العاص قال[٦٧] : ما من هدية يهديها المرء إلى أخيه خير له من كلمة حكمة ينفعه الله عز وجل بها في دينه . وقال الله تعالى : ﴿الأخلاءُ يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾[٦٨] . فاغتنم بقية عمرك واحسن أدب جلسائك[٦٩] ، فمن رأيت الأدب ينفعه فتفقد مجالسته ، ومن رأيته منهم يتكلم بلسانه وهواه في الغيبة – يراها أفضلُ رغبته – فعاوده رجاء رجعته ، فلعله ينتفع بالحكمة ، فإن لم تزجره الموعظة فدع إخاءه ولا تستوحش إلى مجالسته [والسلام عليك ورحمة الله وبركاته][٧٠] .

الملحق رقم (05): صورة لواجهة مخطوط الطبقات الصوفية لسلمي[1]

[1] أبي عبد الرحمان الحسين السلمي، الطبقات الصوفية ويليه ذكره النسوة المتعبدات الصوفيات، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص 17.

الملحق رقم (06): صورة لبداية مخطوط، الطبقات الصوفية للسامي[1]

[1] أبي عبد الرحمن الحسين السلمي، المصدر السابق، ص 18.

الملحق رقم (07): مناظرة بين ابو عبد الله محمد ابن اسحاق التبان وبعض الدعاة العبيديين[1]

«وكان عبد الله المعروف بالمحتال، صاحب القيروان، شدّ في طلب أهل العلم ليشرّقهم، فطلب الشيخ أبا سعيد ابن أخي هشام, وأبا محمد التبّان, وأبا القاسم بن شبلون، وأبا محمد ابن أبي زيد، وأبا الحسن القابسي، رضي الله عنهم, فاجتمعوا في مسجد ابن اللحام واتفقوا على الفرار, فقال لهم ابن التبان: أنا أمضي إليه، وأكفيكم مؤونة الاجتماع، ويكون كل واحد منكم في داره, ويقال إنهم أرادوا السير إلى عبد الله, فقال لهم: أنا أمضي إليه، أبيع روحي من الله دونكم، لأنكم إن أتي عليكم، وقع على الإسلام وهن, ويقال: إنه قال لعبد الله لما دخل عليه: جئتك عن قوم إيمانهم مثل الجبال، أقلّهم يقيناً أنا, فحدث بعض من حضر، قال: كنت مع عبد الله، وقد احتفل مجلسه بأصحابه، وفيهم الداعيان: أبو طالب، وأبو عبد الله. لعنهم الله, وقد وجه إلى ابن التبان، فإذا به داخل، وعيناه توقدان، كأنهما عينا شجاع, فدخل وسلم. فقال: أبطأت عنا يا أبا محمد, فقال: في شغلك، كتاب ألفته في فضائل أهل البيت الساعة, أتاني به المجلد، ودفعه إليّ, فقال: يا أبا محمد ناظر هؤلاء الدعاة. قال: في ماذا؟ قال: في فضائل أهل البيت, فقال لهما: ما تحفظان في ذلك, فقال له أبو طالب: أنا أحفظ حديثان – ولحن – ثم سأل الآخر، فقال له: وأنا أحفظ حديثان, فقال فيما ذان الحديثان اللذان تحفظ أنت?, فقال له: هما يحفظان حديثان – ونطق بلحنهما – وأنا أحفظ في ذلك تسعين حديثاً، فأولى بهما الرجوع إلي, ثم قال عبد الله: يا أبا محمد، من أفضل أبو بكر أو عليّ? قال: ليس هذا موضعه. فقال: لابد، فقال: أبو بكر أفضل من علي. فقال عبد الله: أيكون أبو بكر أفضل من خمسة، جبريل عليه السلام سادسهم? فقال أبو محمد: أيكون عليّ أفضل من اثنين، الله ثالثهما? إني أقول لك ما بين الوجهين، وأنت تأتيني بأخبار الآحاد. فضاق عبد الله، وقال: فمن أفضل عائشة أو فاطمة?, فقال له: هذا آخر، سؤالك الأول? قال: لابد, قال: عائشة رضي الله عنها، وسائر أزواج النبيﷺ أفضل من فاطمة, قال: من أين?, فقال له: قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ...﴾[الأحزاب:32], فيقال: إن بعض الدعاة قال له في هذه المسألة: أيما أفضل، امرأة أبوها رسول اللهﷺ، وأمها خديجة الكبرى، وزوجها علي بن أبي طالب ابن عم رسول اللهﷺ ، وولداها الحسن والحسين، سيدا شباب أهل الجنة, أو امرأة أمها أم رومان, وأبوها عبد الله ابن أبي قحافة?, فقال له أبو محمد: أيهما أفضل عندك، امرأة إذا طلقها زوجها، أو مات عنها تزوجها عشرون زوجاً? أو امرأة إذا مات عنها زوجها أو طلقها لم تحل لأحد?, فيحكى أن أبا عبد الله قال له: يا أبا محمد أنت شيخ المؤمنين، ومن يوثق بك، أدخل العهد وخذ البيعة, فعطف عليه أبو محمد وقال له: شيخ له ستون سنة، يعرف

[1] حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 183.

حلال الله وحرامه، ويرد على اثنين وسبعين فرقة، يقال له هذا؟ لو نُشِرتُ بين اثنين، ما فارقت مذهب مالك, فلم يعارضه، وقال لمن حوله: امضوا معه, فخرجوا ومعهم سيوف مصلتة, فمر بجماعة من الناس ممن أحضر، لأخذ الدعوة, فوقف عليهم فقال: تثبتوا ليس بينكم وبين اللهﷻ إلا الإسلام, فإذا فارقتموه هلكتم, فترك عبد الله طلب بقية الشيوخ، بعد ذلك المجلس»

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم

2- المصادر

1.ابن الآبار(ت.658هـ) الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، 1923

2. الخشني، قضاة قرطبة و علماء افريقية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1994.

3. ابن بشكوال، أبو القاسم، الصلة، تح: ابراهيم الأبياري، المكتبة الأندلسية، القاهرة، ط2 1989.

4.ابن الأثير(ت.360)، الكامل في التاريخ، دار صادر ،بيروت، لبنان.

5.المقديسي، أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ليون،1968.

6.محمد ابن سحنون، آداب المعلمين، مر وتع: محمد العروسي المطوي، مكتبة الفقه المالكي، 1972.

7.ابن ابي زرع الفاسي(ت.710)، الأنيس المطرب بروضة القرطاس في أخبار ملوك المغرب والفاس، المنصورة للطباعة و الوراقة، الرباط،1972.

8.أبن فرحون(ت.797)، الديباج المذهب لمعرفة أعيان المذهب، تح: محمد الأحمدي، دار التراث القاهرة.

9. الحميدي(ت.488)، جذوة المقتبس، تح: روحية عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

10. عياض ابن موسى، السبتي(ت.544)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعيان مذهب مالك تح: مجموعة من الباحثين، نشر: وزارة الأوقاف الإسلامية المغربية، الرباط،1968.

11.ابن الزيات(ت.628)، التوشف الى رجال التصوف أخبار أبي العباس السبتي، تح: أ؛مد توفيق، منشورات الرباط ط2.

12.الذهبي شمس الدين(ت.ه748هـ)، سير أعلى النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995

13.أبي عبد الله، التميمي الفاسي المستفاد في مناقب العباد لمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح: محمد شريف، منشورات كلية الأدب والعلوم الانسانية، تطوان ط2 ،2002.

14.الغبريني، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق، بيروت، لبنان، ط2، 1991.

15.عبد الرحمن ثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: أبو محمد الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1996.

16.الظبي أحمد ابن يحيى(ت.599)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، كتاب المصري، القاهرة،1998.

17.ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالشيوخ الاربعة المتأخرين.

18.شهاب الدين الإشبيهي، الزهد والرقائق مر: وزارة المعارف العمومية،1993

19.أبي حامد الغزالي، احياء علوم الدين تح: بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياطةفولترا، سماراغ.

20.عبد الله مبارك، الزهد والرقائق تح وتع: أحمد فريد، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض ط1، 1995.

21. النووي أبي زكرياء محي الدين، تهذيب الأسماء واللغات، تع: شركة العلماء دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

22.ابن القيم، مدارج السالكين، بين اياك نعبد واياك نستعين، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط2 ،1995.

23.القشيري، الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود، مجلة المجمع العلمي العراقي.

24.أبو بكر الطروطوشي(ت.520)، سراج الملوك، تح: محمد فتحي أبو بكر، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1994.

25.ابن عبدون، رسالة في الحسبة، نشر: ليفي بروفينسال، المجلة الآسيوية، ابريل،1934.

26.الرقيق القيرواني(ت.418)، تاريخ افريقيا والمغرب تح: المنجي الكعبي، تونس 1968.

27.ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، بيروت لبنان، 1993.

28.يحي ابن عمر، النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، الشركة التونسية للنسر والتوزيع.

29. ابن مريم، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

30. المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.

31. ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، في تعريف برجال المالكية، دار صادر

.32

33.ابن الجوزي جمال الدين(ت.597هـ) تلبيس ابليس، بيروت، 1363هـ.

34.ابن خلدون عبد الرحمن(ت.808هـ)، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1987.

35.أحمد فريد، البحر الرائق، الزهد والرقائق، مكتبة الصحافة، جدة، ط2 1995.

36.الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن(ت.696)، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان تص و تع: ابراهيم شبوخ، مكتبة الخانجي، مصر، 1968.

37.المالكي أبي بكر عبد الله، رياض النفوس، تح: البشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

38. الأصبهاني أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، تح: مصطفى عبد القاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1988.

3.المراجع:

1.محمد البركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري دار لنهضة العربية، القاهرة، 1993.

2.عبد الله التليدي، المطرب لمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، الرباط، ط4، 2003.

3.عبيد بوداود، ظاهرة ، التصوف في المغرب الأوسط ما بين الق 7 و9 هـــ، دار الهدى للطباعةوالنشر، الجزائر

4.الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرن 6 و7 هـــ، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة.

5.محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ تعريف الأندلس، دار الفكر العربي، ط2، 1972.

6.عبد الباقي عبد الهادي، ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، دار الآفاق العربي القاهرة.

7.محمد عبد الله دراز، الدين

8. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية.

9.مجاهد مصطفى بهجت، التيار الإسلامي في الشعر العباسي الأول، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلسلة الكتب الحديثة، ط1، 1983.

10.الحسين ابن حمد شواط،

11.محمد الطالبي، الدولة الأغلبية

12.مقدم مبروك، الشيخ عبد الكريم المغيلي وأثره الاصلاحي بإمارات إفريقيا الغربية، خلال القرن 8 ،9 ،10هـــ، دار العرب للنشر والتويع ط2002.

13.موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، الشركة الأصلية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971.

14.حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط1، 1980.

15.سعدي أبي حبيب، سحنون مشكاة علم ونور وحق، دار الفكر، دمشق، ط1، 1981.

4.الرسائل الجامعية:

1.بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرن 5و6 ، دراسة في ظاهرة الانحراف رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص الغرب الإسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة معسكر، 2017.

2. بوراس حفيظة، الشيخ عبد الرحمن ثعالبي وجهوده في خدمة السنة النبوية المطهرة، تخصص كتاب وسنة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 2009.

3. الحاج أحمد نورالدين ، المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للأمراء والملوك والعلماء، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص دعوة واعلام، إش: مولود سعادة، كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة، 2011.

4.سالمي زينب، الحركة العلمية في التوات خلال القرن 8، 10 هـــ، رسالة لنيل شهادة الماجستير تخصص المغرب الإسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان.2012.

5. سعيد ابن آل ناشع الأسمري، كتاب الزهد والرقائق لعبد الله مبارك، دراسة وتحقيق، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الحديث والعلوم، جامعة أم القرى، إش: أحمد ابن نافع المورعي، 2012.

6.سعيد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316، 422هـــ) رسالة لنيل شهادة ماجستير، تخصص تاريخ اسلامي، إش: أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى 1982.

7. علي ابن محمد سعيد الزهراني، الحياة العلمية في الصقلية الإسلامية (212، 484هـ) رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص، الحضارة والنظم الإسلامية، إش: ضيف الله ابن يحى الزهراني، جامعة أم القرى،1993.

8.فاطمة الزهراء جدو، السلطة والمتصوفة بالأندلسي، في عهد المرابطين والموحدين، رسالة لنيل شهادة ماجستير، تخصص تاريخ اسلامي، إش: اسماعيل سامعي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2008.

9.حفيظ كعوان، أثر الفقهاء المالكية، الاجتماعية والثقافية بإفريقية، رسالة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ اسلامي، إش: ابراهيم بكيز، طلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة،2009.

10. محمد محمود عبد الله ابن بيه، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة لنيل شهادة ماجستير، تخصص تاريخ اسلامي، إش: محمد حسب الله، كلية الشريعة جامعة أم القرى، 1998.

11.قدم خولة، فرتان حسنة، دور الفقهاء في الحياة السياسية والفكرية في الدولة الأغلبية، رسالة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ اسلامي، إش: مسعود خالدي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قالمة، 2016.

12.عبد الكريم بن ابراهيم الحسين، أبو بكر العربي، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص دعوة واحتساب، إش: محمد زين الهادي، طلية الدعوة والاعلام، جامعة محمد ابن ساعود الإسلامية.

5. المعاجم والموسوعات:

1.ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، طبعة بولاق.

2. أنور محمد الزناتي، معجم المصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية دار زهران، عمان، الأردن.

3. صالح ابن عبد الله، عبد الرحمن ابن ملوج، موسوعة نظرة النعيم في مكارم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

4.موسوعة دائرة المعارف الإسلامية،

6. المقالات:

1. محمد مرغيت، البعثة العمرية وأثرها في توطين الاسلام بالمغرب الإسلامي، مجلة قسم العلوم الانسانية، جامعة أدرار.

2. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد في الجزائر، مجلة الأصالة، ع:14 ، وزارة التعليم الأصلي للشؤون الدينية، الجزائر 1973.

3.عمر راجع شلبي، دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس هجري، مجلة الجامعة الإسلامية، ع2 ، مج: 6.

4. محمد المرغاوي، من الزهد الى التصوف(ق،2، 6هـ)، كلية الآداب والعلوم الإسلامية الرباط.

فهرس

الموضوعات

فهرس الآيات:

فهرس الأعلام:

ح

حسن بن دينار37 ,
حنش الصنعاني36 ,

س

سعيد البكاء30 ,
سفيان الثوري52 ,9 ,

ط

طارق بن زياد75 ,

ع

عبد الحق الأشبيلي71 ,11 ,
عبد الخالق القتاب63 ,46 ,
عبد الكريم المغيلي106 ,95 ,72 ,
عبد الله بن الحسين37 ,
عبد الله بن فروخ الفارسي52 ,28 ,
عقبة بن نافع75 ,71 ,39 ,22 ,19 ,

م

محمد الأنصاري الشارقي70 ,
محمد بن سحنون95 ,90 ,76 ,64 ,24 ,
مقاتل العكي18 ,

و

ومحمد بن شجاع37 ,

ي

يوسف بن تاشفين88 ,87 ,69 ,66 ,55 ,

إ

إبراهيم الدمني48 ,30 ,

ا

ابن حزم الظاهري106 ,

إ

إبن رشد الجد69 ,

أ

أبو الحسن علي المكناسي33 ,
أبو العباس السبتي ,ه, 35, 66
أبو الوليد الباجي80 ,67 ,
أبو بكر الطرطوشي69 ,67 ,
أبو بكر اللمتوني95 ,66 ,
أبو جعفر القمودي46 ,
أبو يعزي35 ,
أبي زمنين70 ,
أبي عمران الفاسي95 ,33 ,
أبي مدين شعيب71 ,42 ,

إ

إسحاق الألبيري37 ,

ا

البلوي السبتي32 ,
البهلول ابن راشد95 ,
الحسن البصري8 ,
السوسي57 ,52 ,
القاضي عياض84 ,80 ,75 ,69 ,67 ,66 ,56 ,41 ,40 ,33 ,32 ,29 ,
المعز بن باديس45 ,

ب

بقي بن مخلد53 ,38 ,18 ,17 ,
بن ثابت الأنصاري37 ,

الفهرس

كلمة شكر
إهداء
مقدمة: ..... أ
الفصل التمهيدي: 7

الفصل الأول الزهد والرقائق في الغرب الإسلامي

المبحث الأول: نماذج عن أهل الزهد و الرقائق في الغرب الإسلامي 28
01: المغرب الأدنى 28
02: المغرب الأقصى 33
03: الأندلس 37
المطلب 04: المغرب الأوسط 39
المبحث الثاني : مظاهر الزهد والرقائق في الغرب الإسلامي 43
01: الدفاع عن الإسلام وأهله : 43
02: مجالس العلم وحلقات الرقائق 48
المبحث الثالث: انعكاسات الزهد والرقائق على الغرب الاسلامي 52
01: الديني الثقافي 52
02: سياسيا 54
03: اقتصاديا اجتماعيا 56

الفصل الثاني: الوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي

المبحث الأول: نماذج من أهل الوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي 61
01: المغرب الأدنى 61
02: المغرب الأقصى 64
03: الأندلس 66
04: المغرب الأوسط: 69

المبحث الثاني: مظاهر الوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي 72
01: الإصلاح الديني الثقافي: 73
02: الإصلاح السياسي. 76
03: الإصلاح الإقتصادي الإجتماعي..... 81
المبحث الثالث: إنعكاسات الوعظ والنصيحة في الغرب الإسلامي. 85
01: دينيا ثقافيا. 85
02: سياسيا 86
03 :اقتصادي اجتماعي. 87
الخاتمة: 92
الملاحق
قائمة المصادر والمراجع
الفهارس